

أقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٧٦٥]

رئيس مجلس الإدارة

كمال محبوب

رئيس التحرير
حمزة عبد الصادق
مدير التحرير
عصام عبد الجليل

هيئة التحرير
ياسر محمد علي
علي محمد حاج
نرفانا محمود
د. أحمد عفيفي
سحر حسن
رشا رأفت

مدير تنفيذي
محمد البحيري

مدير فني
أماني والي
عصمت أحمد

مشرف فني
شريف رضا
تصميم الغلاف
محمد عطية

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع النظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع .

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ - E-mail: maaref@idsc.net.eg

د. محمد عادل عبد العزيز

مفردات قرآنية



<http://gate.dar.elmarf.com>

اقرا

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها،
لم يفكروا إلا في شيء واحد، هو نشر
الثقافة من حيث هي ثقافة، لا يريدون
إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا،
وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من
الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى
وأخصب من الحياة العقلية التي نحيهاها.

طه حسين



﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾

صدق الله العظيم

(النحل : ٨٩)

المقدمة

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على الرسول المبعوث معلما ورحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد ، فإن هذا الكتاب هو حصيلة اهتمامى بموضوع اللفظ فى القرآن الكريم، والذى سبق وأن نشرته تباعا بين جريدتى الأهرام واللواء الإسلامى، وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أنه كشف أن اللفظ فى القرآن الكريم لا يدور فى جزر منعزلة، وإنما يدور فى فلك واحد لينسج الجوانب المتعددة فى إطار موضوع اللفظ، بل وعلاقته بألفاظ أخرى حيث يشكل فى النهاية موضوع اللفظ المستقل والمتكامل.

والقرآن الكريم بهذا المنهج يكشف عن عدم تعارض ما ورد عن اللفظ الواحد فى كل الآيات التى ورد فيها اللفظ مصداقا لقوله تعالى فى سورة النساء:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)

وأخيرا، أرجو من الله عز وجل أن يعيننى على استكمال المسيرة، فإنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

دكتور

محمد عادل عبد العزيز

الأستاذ بجامعة الأزهر

^

القرآن الكريم

القرآن الكريم: هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد - ﷺ - بلسان عربي مبين في كتاب مكنون من لوح محفوظ، فيقول تعالى في سورة الشعراء: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (آية: ١٩٢ - ١٩٦) ويقول سبحانه في سورة البروج: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (آية: ٢١ - ٢٢).

وقد نزل القرآن الكريم في شهر رمضان، لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (آية: ١٨٥)، وللقرآن الكريم شعارات تدل عليه، فيقول تعالى في سورة يوسف: ﴿ الرَّتِّكَ أَيْتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (آية: ١ - ٢)، ويقول سبحانه في سورة الحجر: ﴿ الرَّتِّكَ أَيْتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ (آية: ١)، ويقول عز وجل في سورة النمل: ﴿ طَسَّ تَلَكَّ أَيْتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ (آية: ١).

ولم ينزل القرآن الكريم جملة واحدة، وإنما نزل تنزيلا - أي على العديد من المرات - وذلك لحكمة إلهية وليثبت به فؤاد النبي - ﷺ -

وقد جاء ذلك في قوله تعالى في سورة الإنسان: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ
تَنْزِيلًا ٢٣ ﴾ (آية: ٢٣)، وفي سورة الفرقان: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ
عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ٣٢ ﴾ (آية: ٣٢).

وقد تعهد المولى عز وجل بأن يتولى جمع القرآن بعد أن يتم تنزيله،
فيقول سبحانه في سورة القيامة: ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١١ ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٧ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ ١٨ ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ١٩ ﴾ (آية: ١٦ - ١٩)،
ورسالة القرآن الكريم، هي الهداية، والإنذار والوعيد كما أنه شفاء
ورحمة للمؤمنين وخسارة على الكافرين به، فيقول عز وجل في سورة
الجن: ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ١
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ٢ ﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِنَا مَا اتَّخَذَ صَحْبَةً
وَلَا وَلَدًا ٣ ﴾ (آية: ١ - ٣)، وفي سورة الشورى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْيَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ
وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٧ ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي
رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٨ ﴾ (آية: ٧ - ٨)، وفي سورة
طه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ
لَهُمْ ذِكْرًا ١١٣ ﴾ (آية: ١١٣).

والقرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، والسورة، هي مثل من
القرآن، لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ

عَبْدَانَا قَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۗ ﴿٢٣﴾ (آية: ٢٣)، وكل سورة من سور القرآن الكريم محكمة ومفروضة بذاتها، لقوله سبحانه في سورة محمد: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ مُحْكَمَةً﴾ (آية: ٢٠)، كما يقول عز وجل في سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (آية: ١).

أما نصوص القرآن فإن فيها ما يدعوننا إلى الدهشة، لأن القرآن الكريم يعطى لنصوص فيه القدرة على أن تسير الجبال، أو تقطع الأرض، أو يتكلم به الموتى، فيقول سبحانه في سورة الرعد: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (آية: ٣١).

ومصادر الإيمان بالقرآن متعددة وطبيعي أن يكون محمد - ﷺ - أول المؤمنين به، حيث يقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ (آية: ٢٨٥)، وإن كان هذا الإيمان لا يمنع من التحقق مما أنزل بالوسائل العلمية المتاحة، حتى وإن كانت من أهل الكتب السماوية السابقة للاطمئنان بأنه الحق، فيقول تعالى في سورة يونس: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آية: ٩٤)، وإذا كان القرآن بهذا النص الكريم يؤكد بطريق غير مباشر أن القرآن الكريم ليس من تأليف محمد، فإنه في نفس الوقت يؤكد أنه ليس منقولاً عن آخرين. بل ويحسم قضايا خلافية، فيقول سبحانه

في سورة النمل: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَفُونَ ﴾ (٧٦) (آية: ٧٦)، بل أكثر من هذا، أن النص القرآني يكشف ، أن محمدا - ﷺ - لم يكن يتمنى يوما أن يكون نبيا أو رسولا ، فيقول سبحانه في سورة القصص: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨٥) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٨٦) وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ الْوَعْدَ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٨٧) (آية: ٨٥ - ٨٧).

ويؤكد القرآن الكريم، أنه لو كان من عند غير الله، لوجد الناس فيه اختلافا كثيرا فيقول سبحانه في سورة النساء: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) (آية: ٨٢)، ويجب أن نفهم هنا الاختلاف بمعناه الواسع الذي يجعل نصوص القرآن تتعارض فيما بينهما، وتتعارض مع الحقائق سواء كانت بيانية، أو إخبارية أو علمية أو كونية أو غير ذلك، وهنا سياتأكد للجميع أنه تنزيل من رب العالمين، فيقول عز وجل في سورة يونس: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مِنَ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) (آية: ٣٧ - ٣٨).

ويغلق القرآن الكريم ملف التشكيك في أنه تنزيل من رب العالمين بهذا التحدى للإنس والجن مجتمعين، فيقول سبحانه في سورة الإسراء: ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (آية: ٨٨).

وبرغم أن القرآن الكريم، قد كشف في سورة الرحمن، أن تعلم القرآن كان قبل خلق الإنسان حيث يقول سبحانه: ﴿ الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَإِن تَرَوْهُ كَرهًا ۚ فَاعْلَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ لَكُنْزٌ كَرِيمٌ ۚ ﴾ (آية: ١ - ٤)، وبرغم أن ذلك يعنى أن رحمة الله فرضت أن يسبق علم القرآن خلق الإنسان أى إن الله خلق الإنسان مهيناً لعلم القرآن، فإن الآيات تكشف أن الإنسان كان أكثر جدلاً في القرآن الكريم، فيقول سبحانه في سورة الكهف: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (آية: ٥٤).

ولقد تناول القرآن الكريم المؤمنين به فقال سبحانه في سورة النحل: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (آية: ٩٨)، وفي سورة الإسراء: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمَاسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (آية: ٧٨)، وفي سورة الإسراء أيضاً: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (آية: ٩)، وفي

سورة التوبة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَهَا الْجَنَّةَ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُسْكِرُونَ الزَّكَاةُ الْمَحْذُورُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ (آية: ١١١ - ١١٢)، أما المنافقين فيذكرهم عز وجل في سورة محمد، فيقول: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنزَلْنَا الْفُرْقَانَ فَيُدْخِلُهُمْ قُلُوبًا أَفْقَالًا ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ آذَيْنَا عَذَابَ الَّذِي نَذَرْنَا لَهُمْ الْأَهْدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿١٩﴾ (آية: ٢٤ - ٢٩).

وإذا كان القرآن الكريم قد تناول في آياته المؤمنين به، فإنه أيضا تناول الكافرين به، فيقول عز وجل في سورة سبأ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (آية: ٣١)، وفي سورة فصلت: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَغْلِبُونَ ﴿٣٦﴾ (آية: ٢٦)، وفي سورة يونس أيضا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ، وَلَمَّا يَا إِلَهُكُمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ (آية: ٣٩ - ٤٤).

وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَاكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْهَيْهَةَ آخِرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ (آية: ١٩).

وفي سورة الإسراء أيضا: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتُ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ أَنَّ عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ (آية: ٤٥ - ٤٧).

وفي سورة الانشقاق: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ (آية: ٢٠ - ٢٣).

وفي سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يُزِيدُهُمُ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ (آية: ٤١).

وفي سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أُنزِعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَسْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ (آية: ١٥ - ١٧).

والقرآن الكريم دستور حياة ودين، فيقول سبحانه في سورة المائدة: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتَهُمْ أَن يَقُولُوا عَنِ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ دُورِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (آية: ٤٨ - ٥٠).

ويقسم العلماء الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع: أحكام اعتقادية، أى متعلقة بالعتيدة، كوجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأحكام خلقية أى تتعلق بالآداب ومكارم الأخلاق لوجوب التحلى بالصدق والعفاف والعدل، وأحكام عملية، وهذه تنقسم إلى نوعين، أحكام عبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلك من العبادات التى كلفنا الله بها. وأداؤها ينظم العلاقة بين المسلم وربّه، وأحكام معاملات كالبيع والشراء والعقود والجنايات وكلها أمور تنظم علاقة المسلمين فيما بينهم.

ومما رعاه القرآن الكريم أن تأتى أحكامه تفصيلية فى العبادات، وفيما يلحق بها من الأحوال الشخصية التى تتعلق بالأسرة والمواريث لأن أكثر أحكام هذا النوع تعبدى ولا مجال للعقل فيه. وأما عدا ذلك فنجد أحكامه قواعد عامة ومبادئ أساسية لم تتناول التفاصيل الجزئية إلا فيما ندر، وذلك لكون هذه الأحكام قابلة للتطور والتغير من بيئة إلى أخرى ومن عصر إلى عصر، فنجده فى أحكام المعاملات مثلا يكتفى بالقواعد العامة، ويترك لولاة الأمر فى كل زمان أن يضعوا القوانين المتمشية مع هذه القواعد وفقا للمصالح العامة.

ومما أجمع عليه العلماء أن جميع الأحكام التى كلفنا الله تعالى بها مصدرها الأول هو القرآن الكريم فكل حكم مأمورا به أو منهى عنه يجب على الناس اتباعه ما دام مستندا إلى النص الكريم أو السنة المطهرة.

وإذا كان القرآن الكريم هو النص المعصوم من التحريف الموحى به من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله محمد - ﷺ - والمنقول إلينا بالتواتر، فإن علماء السلف قد اتفقوا على أن القرآن الكريم قطعي ناص، وحيث إننا استطعنا في كتابنا (ترجمان القرآن الكريم) استنباط كل معاني ألفاظ القرآن من القرآن الكريم ذاته، فإنه بذلك يكون قد ثبت أن القرآن الكريم، قطعي الدلالة أيضا، وينطبق هذا على كل ما تضمنته نصوص القرآن الكريم من أحكام مثل قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (البقرة آية: ٢٢٨)، لأن صرف معنى (القرء) إلى معنى الحيض أو الطهر منه يخالف الثابت من صريح النص، كما أنه يخالف ما يثبت طبيا، وهو أن المرأة قد يأتيها الحيض وهي حامل، وقد لا يأتيها الحيض وهي غير حامل (حمل كاذب).

وأخيرا، ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، فقد تعهد المولى عز وجل بحفظه، فيقول سبحانه في سورة الحجر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (آية: ٩).

آدم عليه السلام

آدم عليه السلام هو الإنسان الأول في القرآن الكريم، وهو طور متقدم في نظرية النشوء والارتقاء، وبرغم ما تتمتع به نظرية دارون من دقة الملاحظة حيث اكتشف دارون أن كل المخلوقات تتشابه في وجود جهاز هضمي وجهاز دوري وجهاز تنفسي وجهاز إخراج.. إلخ. وبدلاً من أن يستدل دارون وأتباعه من هذا الاكتشاف المهم أن الذي وراء ذلك الفكر والتصميم هو خالق واحد، هو الله سبحانه وتعالى. على العكس نادوا بالتطور، وهو ما وضع النظرية موضع نقد لاذع أفقدها قيمتها. أما القرآن الكريم فلم يجعل خلق الإنسان الأول سرا، وإنما كشف عن الخطوات التي اتبعها الخالق في خلق آدم، بل وكشف عن المواد التي استخدمها الخالق سبحانه في خلقه لآدم:

أولا التراب: وهو العنصر الأول الذي دخل في تكوين آدم، فيقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (آية: ٥٩).
ثانياً الماء: حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ (آية: ٥٤).

ثالثاً الطين: طبعي أن التراب إذا اختلط بالماء يتكون الطين، وهو ما نفهمه من قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ

طِينٍ ﴿ (آية: ٧) . وقد وصف سبحانه ذلك الطين في سورة الصافات بأنه طين لازب ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿ (آية: ١١) ، والواضح أنه طين مختار قابل لتشكيل الهيئة كما سيتضح ذلك في الأسطر القليلة القادمة.

رابعا الصلصال: وهذه هي مرحلة معالجة الطين اللازب (بالحرارة الميسرة) ليصبح صلصالا كالفخار وهذا ما نفهمه من قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿ (آية: ٢٦) . وقوله سبحانه في سورة الرحمن: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِّن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿ (آية: ١٤) .

خامسا الخلق: وهو تكوين الهيئة التي سيكون عليها المخلوق، وهذا ما يفهم من قوله سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ أَنزَلْنَاكَ مِّن مِّن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿ (آية: ٤٩) .

سادسا التصوير: وهو كيفية تركيب الخلقة لقوله تعالى: في سورة آل عمران: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿ (آية: ٦) .

وفي سورة الانفطار: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿ (آية: ٨) .
 وفي سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴿ (آية: ١١) .
 ولا مجال هنا لجدل حول نظرية دارون، حيث كان آدم في النص القرآني معتدل القامة منذ البداية، وهذا ما نفهمه من قوله سبحانه في سورة الانفطار: ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿ (آية: ٧) .

سابعاً التسوية: هي قدرة الله عز وجل على أن يجعل من خلق السماء سبع سموات ومن الإنسان ذكر وأنثى ومن النفس فجورها وتقواها لقوله تعالى: في سورة القيامة: ﴿بَلْ قَدَرِينَ عَلَّ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (آية: ٤). وفي سورة البقرة: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (آية: ٢٩).

وفي سورة القيامة: ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فُخِّقَ فَسَوَّىٰ﴾ (آية: ٣٨ - ٣٩). ﴿وَالْأُنثَىٰ﴾ (آية: ٣٨). وفي سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (آية: ٧). ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (آية: ٨).

ثامناً النفس: هي مخلوق من الماء، وهي في الإنسان تعقل وتكلف وتشتهي وتهوى ويقضى عليها الموت لقوله تعالى: في سورة الكهف: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنفُسِهِمْ﴾ (آية: ٥١).

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (آية: ٣٠). وفي سورة البقرة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آية: ٤٤). وفي سورة البقرة أيضاً: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (آية: ٢٨٦).

وفي سورة الزخرف: ﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ (آية: ٧١).

وفي سورة النجم: ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ (آية: ٢٣).

وفي سورة الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ (آية: ٤٢)، وقد يفسر هذا التعريف بالنفس، السبب في نقص وزن الإنسان بمجرد أن تتم الوفاة ما دامت النفس مخلوقة من عنصر الماء، حتى ولو كان في صورة غاز أو طاقة.

تاسعا الروح: والروح هو آخر مراحل خلق الإنسان، فيقول سبحانه في سورة الحجر: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾ (آية: ٢٩ - ٣٠). والروح هو من أمر الله، لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَسَكَّلْنَاكَ مِنَ الرُّوحِ قُلُ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِي﴾ (آية: ٨٥)، وأمر الله هو (كُنْ فَيَكُونُ)، لقوله تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آية: ٨٢)، وهكذا يتضح أن الروح هو السر الإلهي الذي به يكون العبد على اتصال بربه.

وإذا كان القرآن الكريم نص على أن الموت يقع على النفس التي يحيا بها الجسد، فإنه لم ينص إطلاقاً على أن الموت يقع على الروح، وكيف يقع الموت على الروح، وهي السر الإلهي الذي كان به الإنسان.

هذا عن خلق الإنسان الأول (آدم)، أما عن كيفية انتقال سر الحياة إلى ذريته، فيقول سبحانه في سورة السجدة: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ. وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (آية: ٧ - ٩)، وهكذا فإن سر الحياة يحمله كل من الحيوان المنوى والبويضة الملقحة، والمستمدة من نفس الإنسان الأول آدم وفي ذلك يقول سبحانه في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾﴾ (آية: ١).

ونحن إذا كنا لم نشاهد ولا مرحلة واحدة من مراحل خلق الإنسان الأول (آدم) فإن العلم الحديث قد تمكن من مشاهدة مراحل خلق الإنسان في بطن أمه من ذرية آدم، ويؤكد الدكتور عبد الهادي مصباح بأنه أصبح في الإمكان بواسطة الأجهزة الحديثة أن نرى هذه المراحل منذ بداية الحمل حيث يبدأ ظهور جذور أو براعم اليدين ويبدأ تشكيل العيون، وعند خمس أسابيع يبدأ تكوين الأنف، وعند ست أسابيع (شهر ونصف) تبدأ ظهور جذور الرجلين ويكون طول الجنين ٢ سم، ونستطيع أن نسمع ونرى من خلال الموجات فوق الصوتية القلب وهو ينبض، وذلك قبل أن يكمل الجنين شهرين من بداية الحمل، ويمكنه أن يحرك يديه ويبدأ تكوين الأصابع وحركتها، وكذلك الأعضاء الداخلية مثل الكبد وعدسة العين والأعضاء التناسلية، وكذلك عظام الجمجمة

التي تبدأ فى التكوين والالتقاء ببعضها وتكثر فيها الأوعية الدموية لى تنمو وتقف على المخ، وعند ٨ أسابيع (شهرين) يبدأ تكوين عظام القدمين والغضاريف، وعند عشر أسابيع يتحرك الجنين ولكن لا تشعر الأم بحركته، ويبدأ ظهور الأذن ويكون طول الجنين فى هذا العمر حوالى ٥ سم، أما عند ١١ أسبوعاً فينمو الجنين ويصبح طوله ٦,٥ سم وعند ١٢ أسبوعاً (٣ أشهر) يصبح طوله ٧,٥ سم ويظهر الحبل السرى الذى يربط الجنين بأمه ويتغذى من خلاله، وعند ١٤ أسبوعاً يشبك يديه ويمص أصابعه، وعند ١٥ أسبوعاً يكتمل تكوين الأعضاء الحسية والأعصاب، وعند ١٦ أسبوعاً يلف داخل رحم الأم وهنا تبدأ الأم تحس بحركته لو كان عندها خبرة سابقة بالحمل والولادة. وصدق الله العظيم حيث يقول فى سورة القيامة: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْتَنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ لَجَعَلْنَاهُ الْزَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيَى الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾﴾ (آية: ٣٦ - ٤٠).

وإذا كانت هذه قصة مراحل خلق الإنسان فى القرآن، فإن مراحل عودة الإنسان إلى التراب بعد الموت هى الدليل القاطع على صحة قصة النشأة الأولى، حيث تكون بنفس التسلسل العكسى لما ورد فى القرآن الكريم حيث سرعان ما يتخشب الجسد بعد خروج النفس ويصبح (صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) وبمرور الوقت يتحلل فى القبر وتمتص الأرض ما كان به من ماء، ولا يبقى إلا التراب.

وقد شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون آدم في الأرض خليفة ليكون سييدا على كوكب الأرض ولكن قبل أن يخلق هذا الخليفة عرض الأمر على الملائكة في عرض عام مطلق فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (آية: ٣٠). وهنا تطلعت الملائكة إلى هذه المكانة الرفيعة في ميزان الخليفة التي توزن به مرتبة الكائن بين عامة الكائنات، كما تطلع إبليس إلى نفس المكانة ولم يشر القرآن الكريم إلى أى مخلوق آخر تطلع إلى هذه الخلافة سوى الملائكة وإبليس. وقد ظن كلا منهما أنه هو المقصود بتولى تلك المكانة الرفيعة بين كل المخلوقات!

لكن الله سبحانه وتعالى عرض بعد ذلك عرضا خاصا ومقيدا في سورة ص، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (آية: ٧١)، وهنا علم الجميع أن المقصود بالخلافة غيرهم، وهنا تباينت مواقف الملائكة، وإبليس، ولما تأكد الملائكة أن الخليفة من غيرهم قالوا من فورهم: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (سورة البقرة آية: ٣٠) وهذا القول لا يجب أن نفهمه على أن الملائكة كانوا على اطلاع مسبق بما سيكون من الإنسان ولكن قولهم هذا يرجع إلى اطلاعهم على الأرض وعلى ما يحدث بين المخلوقات الطينية التي سبقت الإنسان مثل الحيوانات والطيور. وبلغت الله سبحانه الملائكة إلى أن الأساس الأول الذى يجب أن تقوم عليه الخلافة، إنما هو (العلم)

فقال سبحانه: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة آية: ٣٠) موجهها بذلك الملائكة إلى أن السيادة على كوكب الأرض لا تكون إلا بالعلم. لذلك كان آدم - عليه السلام - هو أول من علمه ربه من البشر، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (آية: ٣١)، وهذا النص الكريم يناقض كل ادعاءات الماديين التي تنادى بأن الإنسان بدأ أبكم جاهلا كافرا، ثم تعلم النطق بتقليد ما حوله من حيوانات، حيث يؤكد النص الكريم أن الإنسان بدأ ناطقا متكلمًا بلغة لها أصولها، ولكن لماذا كان تعلم الأسماء هو أول ما تعلمه من اللغة؟، هل في ذلك توجيهه إلى ضرورة تعلم الأسماء أولا عند تعلم أى لغة جديدة، أو عند تعليم الأطفال القراءة؟

ويشير القرآن الكريم إلى أن تعليم آدم الأسماء، لم يكن قاصرا على النطق بها وقراءتها فقط، بل كان يتضمن تعليمه كتابتها أيضا، فيقول سبحانه في سورة العلق: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (آية: ٤). ويمكننا أن نستنتج من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ (سورة البقرة آية: ٣١)، وقوله عز وجل في سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (١) ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (٢) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ (٢) ﴿(آية: ١ - ٣) أن اللغة التي تعلمها آدم، هي اللغة العربية لأنها هي لغة القرآن الكريم.

والعلم الحديث فيه من الأدلة على أن اللغة العربية هي اللغة الأم لكل لغات العالم، مع تسليمنا بأن اللغة تنمو وتتطور كما ينمو ويتطور

كل كائن حي، ويكفيها من ذلك كله التقارب الشديد بين جميع أصوات حروف اللغات، وهيمنة الأصوات في اللغة العربية على كل لغات أهل الأرض، ما يمكننا من رد هذه اللغات إلى أصل واحد هو اللغة العربية، بل ونفهم من القرآن الكريم أن اللغة العربية، هي لغة التخاطب في الملاء الأعلى، فمن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْبِيَائِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۗ ﴾ (آية: ٣٣) نفهم أن اللغة العربية هي لغة الملائكة، كما أنها لغة الروح لنزوله على قلب محمد (ﷺ)، وهي أيضا لغة الجن لقول الله عز وجل في سورة الجن: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۗ ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَتَأْتِيهِمْ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ﴾ (آية: ١ - ٢).

وينتقل بنا القرآن الكريم إلى مرحلة هامة جاءت بعد أن انتهى آدم من مرحلة التعليم، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْبِيَائِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٣٤ ﴾ (آية: ٣١ - ٣٤)، وفي نص كريم آخر يقول سبحانه في سورة الحجر: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ۝١٦ ﴾

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ (آية: ٢٩ - ٣٠)، ونفهم من قوله تعالى (كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) أنه لم يتخلف واحد منهم عن السجود لآدم، سواء كان السجود لآدم بعد خلقه مباشرة، أو بعد تعلمه.

ثم ينتقل بنا القرآن الكريم إلى فصل جديد، بعد مرحلة التعليم، وهو تزويج آدم بحواء، يقول سبحانه في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (آية: ١)، ثم يتطرق النص الكريم لمرحلة في غاية الخطورة في حياة آدم وزوجته، وهي مرحلة دخولهما الجنة، فيقول عز وجل في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (آية: ٣٥)، ونلاحظ من النص الكريم أن الله عز وجل، قد صرفنا عمدا عن معرفة اسم الشجرة، لأننا نفهم من قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿هَمَّ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ (آية: ١٦)، أن الجنة ليس فيها شجرة محرمة، وإنما هو الامتحان لآدم وزوجه، كما أن دخول آدم وزوجه الجنة جعل من السهل على البشرية أن تظمنن بوجود الجنة وأن تعمل من أجل الفوز بها.

ثم تنتقل بنا نصوص القرآن الكريم إلى داخل الجنة، بعد أن سمح سبحانه لإبليس بإغراء آدم وزوجه بالأكل من الشجرة فيقول سبحانه في سورة الأعراف: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

سَوَّاهُمَا وَقَالَ مَا نَهَيْكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ (آية: ٢٠ - ٢١).

وتكشف لنا النصوص القرآنية أن محاولات إبليس تكررت حتى استطاع أن يوقع بآدم فيأكل من الشجرة وتتبعه حواء فتأكل هي الأخرى، وهذا ما يؤكد عليه النص الكريم ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَذُوكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لِي لَا يَبُلَى ﴿٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ (سورة طه آية: ١٢٠ - ١٢١). وبمجرد أن ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما، ويواصل النص القرآني متابعة الأحداث، فيقول سبحانه في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (آية: ٢٢)، ثم خاطبهما ربهما عز وجل بعد هذا العقاب المباشر، داخل الجنة أيضا في نفس السورة: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (آية: ٢٢). وهكذا أصبح آدم في مفترق الطرق: إما أن يعتذر وإما أن يركب رأسه ولا يعتذر كما فعل إبليس من قبل، لكنه اختار هو وزوجته الرجوع إلى الله ولم يصرأ على المعصية وهذا ما تكشف عنه سورة الأعراف: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آية: ٢٣) وهنا فقط رضى الله سبحانه وتعالى أن يهبط آدم وزوجه إلى الأرض لتولى مهمة الخلافة استحقاقا وليست عقابا.

لقد كانت محنة آدم في الجنة هي محنة الإنسان، كل إنسان على الأرض لأن الجميع خلائف الله في الأرض.

لذلك يقول رسول الله - ﷺ - «إن لم تذنبوا لذهب الله بكم ويأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم وكيف لا يغفر وهو الغفور الرحيم». ونحن نتتبع نصوص القرآن الكريم، سرعان ما نكتشف أن إرادة الله شاءت أن يكون آدم خليفة في الأرض عن الله عز وجل، لأن الخلافة ليست بالضرورة عن غائب، وإنما بالمقومات التي يستمددها الخليفة ممن استخلفه، وهي:

أولا العلم: فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ عَلِمَ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمَ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (آية: ٣١ - ٣٣) وهكذا إذا كانت الآيات الكريمة ترشد إلى أهمية العلم بالنسبة للخلافة فإنها تكشف للملائكة في نفس الوقت أن كل مخلوق مهياً لما خلق له.

لذلك كان من الطبيعي أن يتقدم العلم على كل الأسس التي تقوم عليها الخلافة لأنه لن يستطيع الإنسان أن يكون سييدا على كوكب الأرض إلا بالعلم وهذا يكشف لنا السر في أن تكون أول كلمة تنزل من القرآن الكريم هي (اقرأ).

ثانيا ميراث الكتاب: فيقول سبحانه في سورة الأعراف: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾ (آية: ١٦٩).

ثالثا العمل بأوامر الله: فيقول سبحانه في سورة يونس: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (آية: ١٤).
رابعا الحكم بالحق: فيقول سبحانه فى صورة ص: ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (آية: ٢٦).

خامسا الصلاة: فيقول سبحانه فى سورة مريم: ﴿ ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ (آية: ٥٩). إذن فمن يكون ذلك الإنسان الذى لا يتمسك بتلك الأسس التى تقوم عليها الخلافة؟! أكون خليفة رغما عن ذلك؟! أم يكون إليها مستقلا بالأرض!؟

وعلى الرغم من أن الخلافة تشريف لآدم فإن النص القرآنى يكشف لنا فى سورة طه أن فى الحياة على الأرض شقاء بسبب السعى المستمر على المطالب الأساسية للحياة، فيقول سبحانه: ﴿ فَقُلْنَا يَنْتَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ ﴾ (آية: ١١٧ - ١١٩).

وإذا كان النص القرآنى قد كشف عن المطالب الأساسية للحياة فإنه فى نفس الوقت قد وضعها بترتيب يكشف لنا مقدار درجة السعى الذى تحتاجه كل من هذه المطالب فيقدم الطعام على كل من الكساء والشراب

والمسكن وهذا يعنى أن الحصول على الطعام يحتاج سعياً من الإنسان أكبر من السعى للحصول على الكساء، وأن الكساء يحتاج سعياً أكبر من السعى للحصول على الماء، وأن الماء يحتاج سعياً أكبر للحصول على المسكن. والآيات الكريمة بهذا الترتيب للمطالب الأساسية للحياة تنبه لقاعدة اقتصادية هامة حيث يجب العمل على توزيع الدخل بما لا يتعدى ترتيب مطالب الحياة الواردة فى القرآن الكريم.

لكن القرآن الكريم عاد فكشف عن شقاء آخر غير شقاء المتطلبات الأساسية للحياة المعيشية، فيقول سبحانه فى سورة طه: ﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا نِدْنَكُمْ مَنِ هَدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (آية: ١٢٣ - ١٢٤).

وكما هو واضح من النص الكريم أن هذا الشقاء ليس بسبب متطلبات المعيشة، وإنما بسبب الضلال، والذى سيضيف إليهم شقاء إلى شقائهم يضاعف من معاناتهم، فيقول سبحانه فى سورة يونس: ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (آية: ١٠٨).

إبليس

هو من الجن، لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (آية: ٥٠)، والجان خلقوا قبل آدم - عليه السلام - من النار لقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٣٧﴾﴾ (آية: ٢٦ - ٢٧).

وقصة إبليس في القرآن الكريم، هي قصة كل إنسان رافض لحكم الله، والقصة تبدأ حين أمر المولى عز وجل إبليس بالسجود لآدم فرفض إبليس أمر الله عز وجل.

وبناقش الخالق إبليس بأسلوب هادئ فيقول سبحانه في سورة الحجر: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ (آية: ٣٢ - ٣٣).

وإذا كانت الآيات التي توضح رفض إبليس السجود لآدم قد تكررت في القرآن الكريم، فإنها في نفس الوقت، تكشف تكرار أمر الله لإبليس بالسجود لآدم، أو تكرار مناقشته.

وتكاد تنحصر جملة الأسباب التي دفعت إبليس إلى مخالفة أمر الله في قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ،

مِنْ صَلَّصَلِيٍّ مِّنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ (آية: ٣٣)، كما اعترض صراحة على السجود لمخلوق من طين وذلك لما ورد في سورة الإسراء: ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (آية: ٦١)، وفي محاولة أخيرة من الله سبحانه وتعالى، يوضح له أن عدم الامتثال للأمر، وعدم السجود لآدم سيجعل إبليس من المتكبرين أو من المتعاليين، فيقول عز وجل في سورة ص: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدَّتِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ (آية: ٧٥ - ٧٦).

إن قضية إبليس التي ادعى فيها الخيرية على آدم في قوله لرب العزة في سورة ص: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ (آية: ٧٦) مرفوضة شكلا وموضوعا.

أما من حيث الشكل فإن هذه القضية لا يمكن أن تقبل شكلا، لأنها متناقضة، والقضية التي فيها تناقض أو تبني على تناقض لا يصح أن تقبل من حيث الشكل ولا يصح أن ينظر فيها، فقد رتب إبليس أنه خير من آدم على أن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين، والخيرية لا تقوم إلا على الذاتية، والمخلوقية لا ذاتية فيها، فلا دخل لآدم في أنه خلق من طين، ولا دخل لإبليس في أنه خلق من نار. لذلك كان الأولى بإبليس أن يقول (أنا من نار وهو من طين) لكن بما أنه قال (خلقتني من نار) فالخالق هو الأعلّم أيهما الخير؛ لذلك فالقضية مرفوضة شكلا.

أما من حيث الموضوع:

إن المتتبع لآيات الله الكريمة فى القرآن الكريم يرى أن مادة (الطين) تدور على الخير والبركة أما (النار) فعلى الرغم من أنها تكررت فى القرآن ١٤٥ مرة، فإنها بعيدة كل البعد عن الخير والبركة ولعلنا نستطيع أن نشير فى إيجاز إلى بعض هذه الأدلة فيما يلى:

أولاً: خذ ما شئت من قمح مثلاً والقه فى النار فإنه يحترق ويفنى ثم خذ حبة واحدة فقط من القمح والقهها فى الطين فإنها تنبت ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (سورة البقرة آية: ٢٦١).
ثانياً: النار عذاب ودمار. لذلك يقول سبحانه فى سورة الأنبياء:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (آية: ٦٩).

ثالثاً: الطين يقضى على النار ولا يمكن للنار أن تقضى على الطين ولا على أحد جزئيه فالماء يطفى النار والتراب يخمده ومجموعهما يمحق النار. وعلى الرغم من شناعة الخطأ الذى وقع فيه إبليس برفضه الخضوع لأمر الله فإن إبليس آثر التحدى وتساعد الأزيمة.

ويحاول المولى عز وجل أن يذكر إبليس بأنه ليس له أن يرفض أمر إلهى لكن ذلك كله لم يغير من موقف إبليس أو يجعله يتراجع. بل أصر على التمادى فى العناد، وجاء فى سورة الحجر: ﴿قَالَ فَأخْرِجْ مِنهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٢٦) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٧﴾ (آية: ٣٤ - ٣٥)، وبدلاً من أن يتراجع إبليس عن موقفه أصر على أن يستمر فى تحديه.

ويضع المولى عز وجل آدم وزوجه في الامتحان، ويتيح الفرصة لإبليس ليبدأ في ممارسة عداوته للإنسان بالوسوسة والتغريب حتى يزل الإنسان بما يكسب ويصبح إبليس شيطاناً، يقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (آية: ٣٥)، ثم يكشف القرآن الكريم كيف تتابعت الأحداث، فيقول سبحانه في سورة الأعراف: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ وقاسمهما إني لكذا لمن النصصير ﴿٣١﴾ فدلتهما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءههما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناديهما ربهما أترأيتكما عن تلكما الشجرة وأكل لكما إن الشيطان لكما عدوٌ مبين ﴿٣٢﴾ قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نتعف عننا لنتكونن من الخاسرين ﴿٣٣﴾ قال أهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتع إلى حين ﴿٣٤﴾﴾ (آية: ٢٠ - ٢٤).

وتنتهي قصة العناد والاستكبار بأن يحق على إبليس القول بأن يكون من أهل جهنم، فيقول سبحانه في سورة الإسراء: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾﴾ قال أذهب فمن تبعك منهم فات جهنم جزاً وكر جزاءً مؤفوراً ﴿١٣﴾ وأستفزز من أستطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴿١٤﴾﴾ (آية: ٦٢ - ٦٤).

وللأسف يكشف النص الكريم، أن ظن إبليس على البشر قد صدق فيقول سبحانه في سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ (آية: ٢٠ - ٢١).

وهكذا حلت بالفعل اللعنة الإبليسية على كثير من الناس فكم من لص ذهب ليسرق، وحينما يستشعر أنه مقبوض عليه، يقتل ويتحول العقاب من سجن إلى إعدام. لهذا ينصحنا الله عز وجل بالأناطيع الشيطان، وأنه عدو، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٣٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٣٩﴾ (آية: ١٦٨ - ١٦٩).

وطبيعي أن تكون جهنم هي الجزء العادل للجميع فيقول سبحانه في سورة الشعراء: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجٰٓئِمِ لِلْغٰٓوِيْنَ﴾ (٩١) وَقِيلَ لَهُمَ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَبْصُرُونَكُمۡ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفِّبُوا فِيهَا هُم وَالْغٰٓوِرُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ (آية: ٩١ - ٩٥).

الإسراء

هو المضى ليلا حيث الأمر، وهذا ما نفهمه من قول الله تعالى

﴿الإسراء﴾ للوط عليه السلام، في سورة الحجر حيث يقول: ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعَهُمْ وَلَا يَلْبَسُهُمْ وَلَا يَلْبَسُهُمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (آية: ٦٥).

وإذا كانت الآية الكريمة قد كشفت عن معنى الإسراء في مفهوم القرآن الكريم، فإنها في نفس الوقت قد كشفت أن لوطا عليه السلام هو الذي أسرى بنفسه وأهله، وأن الإسراء كان حقيقة وقعت، أما محمد - ﷺ - في سورة الإسراء، فإن الله هو الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأن ذلك كان أيضا حقيقة واقعية وليست مناما، فيقول سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (آية: ١).

وبرغم ما كشفت عنه حادثة الإسراء والمعراج من تكريم الله عز وجل لرسوله الأمين - ﷺ - حيث قال سبحانه: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ (آية: ١)، فقد كشفت حادثة الإسراء والمعراج أيضا أن المسلمين قبل الهجرة

وبرغم إيمانهم بالله الذى لم ترعزعه الشدائد فإنهم لم يكونوا يؤمنوا بمحمد ﷺ ، بدليل إنكار غالبيتهم لما رواه لهم من وقائع حادثة الإسراء والمعراج ، وهنا لابد لنا من وقفة لنتساءل: إذا كانت حادثة الإسراء والمعراج ليرى الله محمد من آياته (الكبرى) ، وإذا كان القرآن الكريم احتفظ بسر تلك الآيات الكبرى ولم يفصح عنها ، فلماذا لم يحفظ الله سر هذه الرحلة المباركة كلها ويجنب رسوله الكريم محنة إنكار المسلمين له؟! وكيف صلى الرسول الكريم بالأنبياء والمرسلين على الأرض وهم جميعا فى عالم البرزخ ، وما هى الحكمة من ذلك!؟

نحن نعلم أن الدين الإسلامى هو القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، فإذا كان القرآن الكريم يعنى أن مرجعية المسلم إلى كتاب الله ، فإن السنة الشريفة تعنى أن مرجعية المسلم فى التطبيق إلى سنة رسول الله - ﷺ - وهو ما يعنى الإيمان بالله الواحد الأحد ، والإيمان أيضا بأن محمد رسول الله ، وأن كل ما يأتى به من نص أو تطبيق فهو حق.

وقد جاءت حادثة الإسراء والمعراج لتفصل بين عهدين. عهد اكتملت فيه عقيدة التوحيد ، وعهد يبدأ فيه التنفيذ العملى لأوامر الله ، والذى ابتدأ بالصلاة التى فرضت فى تلك الليلة المباركة ، والذى سيكون فيه محمد ﷺ هو المرجع الأساسى فى كيفية أداء الصلوات.

لذلك كان طبيعيا أن تبدأ هذه المرحلة بهزة عنيفة للمسلمين تنبه فيهم ضرورة الإيمان بمحمد - ﷺ - ، وأن طاعته واجبة حتى لا يختلف

المسلمون فى تطبيق أوامر الله ، بل لابد من اتباعه فى كل ما يأمرنا به ، وترك جميع ما ينهانا عنه فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (آية: ٨٠) ويقول عز وجل فى سورة الحشر: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (آية: ٧). كما يقول الرسول الأمين: (صلوا كما رأيتمونى أصلى....). ويقول: (خذوا مناسككم عنى..).

أما لقاء الرسول الكريم بالأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - والحكمة الإلهية من ذلك، فهنا نعود لتسائل: لماذا لا يكون هذا اللقاء قد تخطى الحدود الزمنية ليجمعوا فى إسراء شملهم جميعا، ثم عاد كل منهم إلى عصره بعد أن تلقوا الصلاة بركوعها وسجودها عن محمد، ﷺ.

الإسلام

هو الدين عند الله عز وجل، لقوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آية: ١٩).

ويقوم الإسلام على أساسين: القرآن الكريم، وهو الذى يحمل بين دفتيه الإسلام نظريا، والسنة الشريفة، وهى الأسوة الحسنة التنفيذية، والمثل الأعلى فى كيفية التطبيق.

وينقسم القرآن الكريم من الناحية الموضوعية إلى عقيدة وشريعة. والعقيدة هى كل ما يتعلق بالإيمان من آيات كريمة، أما الشريعة فهى أحكام الدين، وتتضمن كل الأوامر والنواهى التى يجب أن توضع موضع التنفيذ. ولا شك أن العقيدة أصل تبنى عليه الشريعة فلا وجود لها بدونها، فمن أهدر العقيدة فليس بمسلم عند الله.

وإذا كانت العقيدة تقوم على الإيمان بالله عز وجل فإن مسألة وجود الله فى القرآن الكريم مسألة وعى أو عقل قبل كل شيء. لهذا، فقد اكتفى القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة إبراهيم ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ (آية: ١٠) لذلك كان منطقيا أن يقول سبحانه فى سورة لقمان: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (آية: ٢٥).

وإذا كانت البشرية قد اتفقت أنه من المحال أن تكون هناك صناعة لا صانع لها، فإن الذى يصعب إدراكه هو: هل الصانع له شريك فى

صنعته، لهذا لم تترك العناية الإلهية للعقل البشرى وحده مهمة الاهداء إلى الحقيقة، فكان من رحمة الله سبحانه بالناس أنه أرسل الرسل، وأيدهم بالمعجزات لتكون دليل الإيمان الذى يهتدون به. وقد كانت رسالة كل رسول مقدمة لمن سيأتى بعده من الرسل، فقد كان طبيعياً ألا تكتسب معجزة كل رسول منهم صفة الخلود، حتى إذا ما جاءت الرسالة الخاتمة، كان لا بد وأن تكون معجزتها ملازمة لها عبر العصور والأجيال. لذلك كان إعجاز القرآن الكريم مصدر الدعوة الإسلامية إلى آخر الزمان.

ونحن حينما ننتبع قضية التوحيد فى القرآن الكريم نجدها القضية المهيمنة على القرآن الكريم كله، كما يكشف لنا القرآن أن مفتاح تلك القضية هو العلم حيث يقول سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (سورة محمد آية: ١٩) أى إن الإيمان بوحداية الله يحتاج إلى تعليم وأن هذا التعليم يجب أن يكون من الله عز وجل وربما هنا نستطيع أن ندرك السبب الذى من أجله كانت أول كلمة تنزل من القرآن الكريم هى (اقرأ) وطبيعياً ألا يحجر الدين على العقل، لأن الحجر على العقل يفقد الأمة حماسها نحو العمل الإيجابى. لهذا حرص القرآن الكريم أن يوضح كيف أدى منهج فرعون المستبد: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ (سورة غافر آية: ٢٩) إلى انتشار الفساد. وهو ما يتكرر فى عصر كل حاكم مستبد. لذلك حرص الإسلام أن يجعل التفكير فريضة، وأن يترك مساحة للمشاركة الفكرية، وحرية الحركة حتى لا يكون الدين أفيون الأمة.

أما الشريعة فهي أحكام الدين، وهي الأوامر والنواهي التي تضمنت قوانين الصيانة والإصلاح، فالخالق سبحانه هو الأعلّم بصيانة صنعته وإصلاحها. الأمر الذي جعل من الدين ضرورة، فتضمنت الأوامر ما لا تدركه البشرية من منافع، كما تضمنت النواهي ما لا تدركه البشرية من أضرار، ومع ذلك، فقد حرصت الشريعة ألا تكون ثوابت جامدة، وإنما هي أوامر ونواهي تتمتع بمرونة فائقة مراعية في ذلك ظروف كل عصر وكل إنسان، وعموما فقد ثبت أن الالتزام بشريعة الله عز وجل يؤدي نفسيا إلى الشعور بالرضا، وأن عدم الالتزام بها يؤدي إلى الشعور بالحرمان، والذي قد يؤدي إلى الانتحار.

وإذا كانت هذه هي القواعد التي قام عليها فكر القرآن الكريم، فإن تفعيل الدين يقوم على العمل بالأركان الخمس شهادة أن لا إله إلا الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. وهكذا ربط الإسلام بين الإيمان والعمل، حتى إن رسول الله ﷺ كان يشترط على من شرح الله صدره للإسلام أن يجهر في شجاعة بالشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهذا في حد ذاته عمل يعبر به المسلم عن إيمانه، ويفتح به مرحلة جديدة من حياته العملية في ظل الإسلام.

وإذا كان القرآن الكريم قد أمرنا بالصلاة، فإنه لم يوضح لنا كيفية الصلاة وترك هذا الأمر للسنّة الشريفة لذلك كانت سنة رسول الله ﷺ

المصدر الثانى بعد القرآن الكريم للأحكام الشرعية .. هذه السنة التى قد لا يفهم الكثيرون أن اتباع ما جاء فيها من أمر أو نهى واجب على كل مسلم كما قد لا يفهم البعض أشياء مثل معناها ووظائفها وأحكامها. والسنة هى : ما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير فالقول كقوله : (إنما الأعمال بالنيات..). والفعل كأفعاله صلى الله عليه وسلم فى صلاته وفى حجه وغير ذلك من العبادات والأفعال التى واظب عليها ، وأخبرنا بوجوب اقتدائنا به فيها كقوله صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رأيتمونى أصلى)، (خذوا عنى مناسككم).

أما التقرير فمعناه أن يفعل بعض الصحابة فعلا فيقرهم صلى الله عليه وسلم على فعله مثلما حدث فى أعقاب غزوة الخندق لمن صلى العصر فى الطريق قبل أن يصل إلى ديار بنى قريظة ولن صلاها فى ديارهم. والسنة النبوية وحى من الله تعالى كالقرآن الكريم إلا أن القرآن وحى من الله بالفاظه ومعانيه أما السنة فهى وحى من الله بمعانيها، أما ألفاظها فمن الرسول ﷺ .

والسنة النبوية أصل من أصول الدين وحجة على جميع المكلفين متى نقلت إلينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح ، وتأتى بعد القرآن الكريم فى حجيتها ووجوب العمل بها وهذا مما أجمع عليه العلماء. أى إن الأحكام الشرعية الواردة عن طريق السنة النبوية تكون مع الأحكام الواردة فى القرآن الكريم واجبة الاتباع بالنسبة لكل مسلم أو مسلمة ودلائل ذلك كثيرة (قرآنا وسنة) ؛ ففى القرآن قوله تعالى :

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا ﴿٧﴾ (سورة الحشر آية: ٧)
 وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (سورة النساء آية:
 ٨٠) وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (سورة
 آل عمران آية: ٣١) أما الأحاديث النبوية فمنها ما قاله صلى الله عليه
 وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: ومن أبى يا رسول
 الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى). والنبي ﷺ -
 كان يعلم أنه سيأتي اليوم الذي ينكر فيه العمل بسنته فقال صلى الله
 عليه وسلم: (يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي
 فيقول: بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما
 وجدنا فيه حراما حرماناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله).

وطبيعي أن ترتبط وظائف السنة بالقرآن الكريم فهي تارة مؤكدة
 لما جاء به من أمر أو نهى أو غيرهما فالقرآن مثلا أمر بالصدق ونهى عن
 الكذب، والنبي ﷺ يقول: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ...
 وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور....).

وقد تكررت الأحكام الشرعية التي حملت أدلتها من كل من القرآن
 الكريم والسنة النبوية كالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان
 وحج البيت، وكانهني عن التقصير في العبادة، وعن الغش وشهادة
 الزور وكثير من الرذائل.

ومن وظائف السنة أنها تأتي أحيانا بحكم شرعي جديد سكت عنه
 القرآن ولم يعارضه فيكون هذا الحكم واجب الاتباع كتحرير الجمع

فى الزواج بين المرأة وعمتها أو خالتها وتحريم لبس الذهب والحريـر بالنسبة للرجال، وبيان أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، وغير ذلك من الأحكام الشرعية التى شرعت بالسنة وحدها.

وتارة الثالثة تلعب السنة النبوية دور الشرح والتفسير لما أجمله القرآن الكريم من أحكام مثل الصلاة التى ورد ذكرها فى عشرات الآيات دون توضيح لأوقاتها وكيفية أدائها وأركانها وسننها وعدد ركعاتها. وفى أحيان رابعة نجد السنة قيدت ما جاء مطلقا فى القرآن ففى قوله تعالى: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج آية: ٢٩) أمر بالطواف مطلقا فى حين اشترطت السنة أن يكون الطواف على طهارة. وكذلك قامت - أحيانا - بتخصيص أحكام قرآنية عامة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي آوَالِدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (سورة النساء آية: ١١) فجعلت السنة هذا الحكم العام مقصورا على الشخص الذى لم يعتد على مورثه بالقتل (لا ميراث لقاتل). كل هذه الوظائف يتكامل ويتشارك فيها القرآن الكريم مع السنة النبوية المطهرة دون تعارض أو تخالف. وقد حصر العلماء الأحكام التى يعد بها المسلم كافرا فى سبعة حالات:

أولا: إذا قال المرء كفرت بالله وبرسوله أو بالله أو برسوله أو رجعت إلى دينى الذى كنت عليه وغير ذلك من الكلام.
ثانيا: إذا أنكر الإنسان أمرا معلوما من الدين بالضرورة أى أنكر ما ثبتت صحته بطريق لا يحتمل الشك. كأن ينكر وحدانية الله عز وجل

أو ينكر وجود الملائكة أو ينكر وقوع البعث. فلقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم قد رم وبلى ثم قال يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا فقال صلى الله عليه وسلم: (نعم ويبعثك ويدخلك النار) ونزل قول الله تعالى ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتَوَّلَ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَ ﴾ (سورة التغابن آية: ٧) أو ينكر أن الله تعالى هو الذى خلق هذا العالم كأن يقول العالم موجود بالطبيعة، أو ينكر نبوة محمد ﷺ، أو أى نبي من الأنبياء، أو ينكر فرضية الصلاة، أو الزكاة، أو أى ركن من أركان الإسلام، أو أى فرض من الفرائض التى فرضها الله عز وجل.

ثالثا: إذا استباح أمرا حراما ثبتت حرمة بطريق قطعى كأن يقول مثلا الزنا حلال أو الخمر حلال أو القتل حلال ويجهر بذلك. وكذلك إذا حرم شيئا أجمع المسلمون على حله أو أحل أمرا أجمع المسلمون على حرمة.

رابعا: إذا سب نبيا من الأنبياء أيا كان هذا النبى لأن الله تعالى قال ﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (سورة البقرة آية: ٢٨٥) أو طعن فى عصمة نبي أو فى عفة نبي أو استهزا بنبي من الأنبياء بالقول، أو بالفعل حتى ولو كان مازحا لأن هذه الأمور لا يجوز المزح بها بأى حال من الأحوال ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيُذِئِبُهُمْ فِي طُعْنِهِمْ يَعْهُونَ ﴾ (سورة البقرة آية: ١٥) فالأنبياء معصومون بعصمة الله لهم ومحفوظون بحفظ الله لهم.

خامسا: إذا سب الدين عامدا متعمدا قاصدا بذلك لعن الدين فهو كافر يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب تاب الله عليه وإلا قتل كفرا لا حداد ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين. أو طعن فى القرآن الكريم والسنة الشريفة بأن يقول مثلا الدين مخدر للشعوب. أو الدين أفيون الشعوب. أو قال مثلا القرآن لا يصلح للتطبيق فى هذه الأيام فالقرآن صالح لكل زمان ومكان فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وهو كلام الله المتعبد بتلاوته والمتحدى بأقصر سورة منه. أو دعا إلى عدم الأخذ بالسنة وإنكار ما صح سنده منها ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (سورة الحشر آية: ٧).

سادسا: إذا ادعى أنه نبي يوحى إليه.

سابعا: إذا أهان المصحف الشريف واستخف به وجعله عرضة للهديان، أو إذا لغا عند سماع القرآن بقصد التشويش على كتاب الله. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة فصلت آية: ٢٦) هكذا كان الكفرة إذا سمعوا القرآن يتلى شوشوا على قراءته.

وإذا استخف باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته أو بأمر من أوامره أو بنهى من نواهيه اللهم إلا إذا كان حديث عهد بالإسلام ولا يعلم الحدود ولا يعرف الأحكام فإذا أنكر شيئا من ذلك جهلا به لا يكفر كمن أنكر مثلا تحريم نكاح البنت على عمتها أو على خالتها

أو أن القاتل عمدا لا يرث وغير ذلك، فإن هذه المسائل وأشباهها إذا أنكرها المسلم جاهلا بها أو بإجماع المسلمين على حرمتها لا يعتبر بذلك كافرا بل يعذر بجهله لعدم معرفة العامة بها وعلى من عرف عنه ذلك عليه أن يبصره بأمور دينه ويحذره عاقبة ذلك وكذلك لا يكفر المسلم بما يقع في نفسه من هواجس ووساوس التي لو تلفظ بها لحكم عليه بالكفر قطعاً.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فقالوا: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به فقال: «ذلك صريح الإيمان»، وروى مسلم أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنتم بالله». والله أمرنا أن نتفكر في آلائه تعالى ولا نتفكر في ذاته على لسان رسولنا حيث قال «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذاته».

الوالدان

هما الأب والأم، وإذا كان الأب، هو من كان من بعده ذريته، لقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (آية: ١٧٣) فإن الأم، هي التي يخرج أبناؤها من بطنها، لقوله سبحانه في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (آية: ٧٨). ولما كانت الأم أضعف من الأب وحاجتها لأبنائها أكبر من الأب. سلك القرآن الكريم مسلكا عاطفيا في تحديد معنى الأم، فيقول عز وجل في سورة الأحقاف: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (آية: ١٥)، كما يقول سبحانه في سورة لقمان: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ (آية: ١٤).

والوالدان هما اللذان اشتركا في تربية أبنائهما، فيقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ (آية: ٢٤)، وقد استعمل القرآن لفظ (ربياني) والذي منه لفظ (الرب)، ليشعر الأبناء بقداسة جانبهما، وبأن التربية جديرة بالعرفان، من حيث كانت ذات اتصال بالربوبية.

لذلك فقد جعل المولى عز وجل الإحسان على رأس حقوق الوالدين على أبنائهما، فيقول سبحانه في سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٣٦﴾ (آية: ٣٦)، كما أننا نفهم من النص الكريم، أن الإحسان إلى الوالدين يأتي في الترتيب بعد عبادة الله جل وعلا، وأن الإحسان إلى الوالدين من توابع عبادة الله، وأثر من آثاره التي تتقدم على كل الأدلة على صدق العبادة.

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - قالت: «قدمت على أمى، وهى مشركة، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت على أمى وهى راغبة (فيما عندي) أفأصل أمى؟ قال: نعم، صلى أمك». ومن حقوق الوالدين على أبنائهما الشكر، والطاعة، والصحبة المعروفة، فيقول سبحانه فى سورة لقمان: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكُنَّ مِنَ الْخَالِقِينَ﴾ (آية: ١٤ - ١٥).

وإذا كانت كلمة (أف) لا تقال إلا لمن يعبدون من دون الله، لقوله تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (آية: ٦٦ - ٦٧)، فإن القرآن الكريم يأمر الأبناء ألا يقولوا للوالدين المشركين (أف) برغم أنهما يستحقونها، وذلك لضرورة ألا يقول الأبناء لوالديهما إلا القول الكريم حتى ولو كانا مشركين، بل والأكثر من هذا أنه من حق الوالدين على أبنائهما ألا يقول لهما إقولا كريما لا يستتبعه رفع الذراع أثناء الكلام، ولا ينهرهما حتى ولو كانا

مشركين، كما أنه من حق الوالدين على أبنائهما الدعاء لهما بالرحمة في حياتهما، أما بعد مماتهما، فلا يكون الدعاء بالرحمة إلا للوالدين الذين ماتا على الإسلام، وهذا كله ما نفهمه من قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَنًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (آية: ٢٣ - ٢٤).

بدر

هى بئر فى سهل بين عدوة دنيا ، وعدوة قصوى على طريق القوافل شرق البحر الأحمر بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهذه المنطقة هى التى دارت فيها أول معركة حربية فى الإسلام ، والسبب هو محاولة المسلمين استخلاص أموالهم من قريش ، لأن أكثر المهاجرين فروا بأنفسهم وعقيدتهم من مكة ، وتركوا أموالهم هناك حيث منع المشركون المسلمين من الهجرة بأموالهم . وإذا كان هذا هو دافع المسلمين لمحاولة استخلاص أموالهم من قوافل قريش ، فإن دافع المشركين كان حماية الطرق التجارية بين مكة والشام ، والتى أصبحت تحت رحمة المسلمين .

تلك هى العوامل المهمة التى جعلت قريشا تفكر جديا فى انتهاز أول فرصة للقضاء على المسلمين فى المدينة ، بل والقضاء على الدين الجديد ، وخاصة بعد أن علمت قريش أن الرسول - ﷺ - قد نذب أصحابه للتعرض لقافلة قريش والتى كان يحميها حرس بين ثلاثين إلى أربعين رجلا بقيادة أبى سفيان بن حرب ، وذلك بعد أن علم الرسول بأنها قافلة عظيمة ، يقدر ما تحمل من بضائع بخمسين ألفا من الدنانير . لكن القافلة حينما علمت بخروج المسلمين للقافلة تركت الطريق المسلوكة

وسارت متبعة ساحل البحر الأحمر فنجت القافلة من المسلمين، وأرسل أبو سفيان إلى قريش يخبرهم بذلك، لكن المشركين أصروا على مواجهة المسلمين برغم علمهم أن المسلمين لم يكونوا يريدون حربا، وإنما كانوا يريدون القافلة ليعوضوا بها ما اغتصبته قريشا من أموالهم.

وقد دارت معركة بدر في صبيحة يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة، الموافق ١٦ من مارس سنة ٦٢٤ ميلادية، وفي البداية صف رسول الله - ﷺ - - الصفوف وجعل مناكب المقاتلين من المسلمين متلاصقة حتى صاروا كأنهم بنيان مرصوص، ويصف القرآن الكريم الموقف قبل القتال، فيقول في سورة الأنفال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنَّا بَيْنَهُ وَيَحْيَىٰ مَن حَيَّ عَنَّا بَيْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ (آية: ٤١ - ٤٢).

وقد كانت المعركة غير متكافئة، فقد بلغت قوة المسلمين (٣٠٥) رجلا من المهاجرين والأنصار، بقيادة الرسول الكريم، وكان معهم فرسان فقط وسبعون بعيرا يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد، بينما بلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلا أكثرهم من قريش، ومعهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الإبل لركوبهم وحمل أمتعتهم. وبرغم

أن العدد والعدة من العناصر الهامة لأي معركة حربية، فإن القرآن الكريم قد كشف لنا أن ذلك ليس وحده الذي يحسم المعركة لصالح أحد الطرفين، وإنما هناك عوامل أخرى معنوية لا تقل أهمية عن العدد والعتاد، فيقول سبحانه في سورة الأنفال: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَدْنَاكَ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ وَلَنَنْزَعُكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّكْوِينِ فِيَ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيَ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَىَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٤٤ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ٤٦﴾ (آية: ٤٣ - ٤٦).

وخرج رسول الله وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وحرص المسلمين فقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة. فقويت عزائم المسلمين، وسرت فيهم روح قوية استمدوها من قائدهم العظيم - و يصور القرآن الكريم بداية معركة بدر، فيقول سبحانه في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١١٢﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّآئِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١٣ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١١٤﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ

﴿١٢٦﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٧﴾ ﴿آية: (١٢٦ - ١٢٧)﴾.

وبدأ القتال بمبارزة عبيدة بن الحارث من المسلمين لعُتْبة بن ربيعة من المشركين، وعلى بن أبي طالب، للوليد بن عتبة، كما بارز حمزة بن عبد المطلب شيبية من المشركين وقد جرح كل من عبيدة وعتبة، أما الوليد بن عتبة وشيبية فقد قتلوا على الفور. وقد استشاط المشركون غضبا لهذه البداية السيئة، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم، والهجوم بفرسانهم، إلا أن صفوف المسلمين بقيت صامدة في مواضعها، مكتفية بتصويب نبالها على سادة المشركين، ولم يفتن المشركون لأسلوب المسلمين الجديد في القتال مما جعل رجالات المشركين تتهاوى بوابل نبال المسلمين، وقد كان أبو جهل على رأس من قتلوا في تلك المعركة، ونزل رسول الله - ﷺ - بنفسه يقود صفوف المسلمين، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التي فقدت قادتها. وحينذاك فقط أصدر الرسول القائد أمره لقواته: (شدوا) أي شددوا الخناق والمطاردة.

لقد كانت معركة بدر صراعا بين حق وباطل، فانتهصر الحق على الباطل، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال آية: ١٠).

البصر

أثناء رحلة بحرية حول موانئ حوض البحر الأبيض المتوسط،
التقيت بأحد أساتذة طب العيون فى الباخرة، وقد كان أمرا طبيعيا أن يتطرق بنا الحديث إلى العلم. فسألته عن السبب الرئيسى فى إبطار العين، فقال لى إن الغرب منقسمون فيما بينهم إلى مدرستين: المدرسة الأولى، وهى المدرسة الأوروبية، وهذه ترى أن السبب الرئيسى فى الإبصار هو شبكية العين، أما المدرسة الأخرى، وهى المدرسة الأمريكية، فإنها ترى أن النور هو السبب الرئيسى فى عملية الإبصار. وبعد عودتى لمصر لجأت إلى القرآن الكريم، وقد تكررت فيه كلمة (البصر والإبصار) وحاولت أن أستشف السبب الرئيسى فى عملية الإبصار فى ذلك الكتاب الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبداية وجدت أن القرآن الكريم ينص صراحة فى سورة الأنعام أن البصر ضد العمى، حيث يقول سبحانه: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (آية: ١٠٤)، وبمزيد من البحث فى الآيات الكريمة، وجدت أن عملية البصر تناولتها ثلاث آيات كريمات، الأولى فى سورة الأعراف، حيث يقول تعالى: ﴿وَتَرَبُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (آية: ١٩٨)، والآية الثانية فى سورة الأعراف أيضا، ويقول عز وجل

فيها: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ (آية: ١٩٥). أما الآية الثالثة، فهي في سورة البقرة ويقول سبحانه فيها: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (آية: ١٧)، وبذلك يكون القرآن الكريم قد حدد لنا عملية الإبصار في (نظر العين بالنور)، وهو بذلك يكون قد أنهى الجدل الدائر بين علماء طب العيون لصالح علماء أمريكا، ولصالح علماء المسلمين من قبلهم بألف سنة، حيث خالف الحسن بن الهيثم ما كان سائدا منذ العصر الإغريقي، فقد كان يعتقد علماء الإغريق بأن عملية الإبصار تتم نتيجة نور يخرج من العين إلى الأجسام التي في مرمى بصر الإنسان، فأتى الحسن بن الهيثم بعكس هذا القول، والنور هو الذي يصدر من الأجسام التي في مرمى بصر الإنسان، حيث كان الحسن بن الهيثم أول من أتى بهذه النظرية منذ ما يزيد على الألف سنة، وهذا هو القرآن الكريم يؤكد على أن النور هو السبب الرئيسي في عملية الإبصار والدليل التطبيقي على ذلك، أنه في حالة سلامة الشبكية ودخول إنسان غرفة مظلمة تماما، فإنه لن يبصر شيئا، لذلك يقول سبحانه في سورة النمل: ﴿الْمُرُورُوا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُورًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ (آية: ٨٦). والقرآن الكريم قد ذكر لنا أن من أسماء الله الحسنى (البصير) ونفهم ذلك من خلال قوله سبحانه في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ (آية: ١١).

والقرآن الكريم إذا كان قد كشف أن النور هو السبب الرئيسي في عملية الإبصار، فإنه كشف أيضا أن الضوء الشديد قد يذهب بالبصر، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَحْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرًا﴾ (آية: ٢٠).

والبصر هو من أهم أدوات تحصيل العلم، حيث يقول سبحانه في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (آية: ٣٦).

وإذا كان البصر هو نافذة الإنسان على نفسه، لقوله تعالى في سورة الذاريات ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (آية: ٢١)، فإن البصر، هو أيضا نافذة الإنسان على كل ما حوله فيقول عز وجل في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (آية: ٤٦)، فقد جعل الله في كل ما حول الإنسان، وما في نفسه دليلا على وجود الله ووحدانيته فيقول سبحانه في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تَوَفَّكُونَ﴾ (آية: ١٥) فالق الإصباح وجعل أيتل سكتا والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم ﴿١٦﴾ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴿١٧﴾ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا

الْأَيْدِي لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٨٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَعِّعْهُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ وَبَدَّلُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَكَ، وَنَعْلَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩٠﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٩٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٩٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَن عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥ - ١٠٤﴾.

ولما كان البصر هو محل فتنة الإنسان، فقد طلب الله سبحانه وتعالى منا جميعاً أن نأمن على أنفسنا من ذلك بقوله تعالى في سورة النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (آية: ٣٠)، وقد حرص القرآن الكريم أن يكشف لنا أن البصر كان أيضاً عاملاً هاماً في حالة الشذوذ، فيقول سبحانه في سورة النمل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (آية: ٥٤)، ويفهم من النص الكريم أن البصر كان باباً دخلوا منه إلى ذلك النفق المظلم، فإنه قد يكون في غض البصر البداية العملية لتصحيح المسار.

وفى سورة يوسف آيات تحتاج إلى البحث العلمى ، حيث تكشف هذه الآيات أن فى حالة فقد الأب لبصره حزنا على فقد ابنه ، فإنه يمكن أن يرتد إليه بصره إذا ما وجد ريح الابن المفقود ، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ أَذْهَبُوا بِمِصْبِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٣) ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ (١٤) ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (١٥) ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ (آية: ٩٣ - ٩٦) .

وأخيرا ، إذا كان البصر من أهم النعم التى تفضل بها الخالق على الإنسان ، فإنه يجب أن نشكر الله عليه الشكر الكثير ، وهذا ما نفهمه من قوله عز وجل فى سورة النحل: ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَّةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ (آية: ٧٨) .

الجار

الجار في القرآن الكريم: هو من بجانبك في المدينة أو الأرض، لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ (آية: ٣٦)، وقوله سبحانه في سورة الأحزاب: ﴿لَيْنَ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (آية: ٦٠)، وقوله عز وجل في سورة الرعد: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّرَتْ﴾ (آية: ٤).

لذلك لما أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: يا رسول الله، إنى نزلت في محلة بنى فلان، وإن أشدهم إلى أذى أقربهم لي جوارا، فبعث الرسول أبا بكر وعمر وعليا، يأتون المسجد فيقومون على بابه فيصيحون ألا إن أربعين دارا جار، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه.

ويأتي الإحسان على رأس حقوق الجار على الجار، فيقول تعالى في سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ (آية: ٣٦) على أنه يجب أن نفهم الإحسان إلى الجار بمفهومه الواسع المشتمل على كل جوانب الحسن في القول والعمل، كما تلفت الآية

الكريمة السابقة نظرنا إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أنه من حق الجار على الجار ألا يختال عليه ولا يفخر، حيث يأتي في ختام الآية، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (آية: ٣٦).

والإحسان إلى الجار برهان قوى على الإيمان بالله ورسوله، ودليل عملي على صدق الإيمان، وفي ذلك يقول ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس. وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس. وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا. وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما. ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب».

وقد روى الطبرانى عن معاوية بن حيدة قال: قلت يا رسول الله ما حق الجار على؟ قال: «إن مرض عُدتَّه، وإن مات شيعته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عُدت عليه، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبنيان، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقطار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده».

وروى الترمذى وأبو داود، عن ابن عمر رضى الله عنهما، أنه ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال أهديتم لجاننا اليهودى، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

الجهل

فى القرآن الكرىم؁ هو ما لىس لك به علم؁ لقوله تعالى فى سورة هود: ﴿قَالَ يَنْتُوْحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَّ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (آية: ٤٦).

ولىس الجاهل كل من لا يقرأ ولا يكتب؁ وإنما الجاهل هو الذى لىس على بىنة من الأمر فلا يكفى أن ىقول الإنسان إننى قرأت (كذا)؁ أو سمعت صوت (حىوان)؁ وإنما ىجب أن ىقول إننى قرأت وما فهمت منه (كذا)؁ أو سمعت صوتا لكلب وهذا ما نفهمه من قول الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ﴾ (آية: ٢٥٩).

وبكشف القرآن الكرىم عن السمات العامة التى تعرف منها الجاهل:

أولاً: القرب من عبادة غير الله؁ لقوله تعالى فى سورة الزمر: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تُأْمَرُونَ بِأَعْبَادِهِمْ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (آية: ٦٤).

ثانياً: خطاب الجهل بعيد عن السلام؁ لقوله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ (آية: ٦٣).

ثالثاً: الهزو فى الحدىث. لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ نَاهِرُونَ قَالُوا أَعْوَدُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (آية: ٦٧).

رابعاً: القرب من الفاحشة، لقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَأَلَّا
نَصْرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (آية: ٣٣).

خامساً: إصابة القوم بغير بينة، لقوله تعالى في سورة الحجرات:
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُ فَأَسْقُوا بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجهَلَةٍ فَتُصِحُّوا
عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (آية: ٦).

سادساً: أسئلة الجاهل تكشف أنه في حاجة إلى العظة لقوله تعالى
في سورة هود: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنَا مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (آية: ٤٦).

سابعاً: أفعال الجاهل خاطئة، لقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالَ
هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفُ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩) ﴿قَالُوا أَمْ تَأْتِكُ لَأَنْتَ
يُوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
فَأِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠) ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ (٩١) (آية: ٨٩ - ٩١).

ولما كان كل شيء في الحياة عملة ذات وجهين، فإنه إذا زادت
نسبة الجهل على نسبة الذين يعلمون كانت الجاهلية هي الحاكمة
لهذا العصر، والعكس صحيح.

ويكشف القرآن الكريم، أنه في حالة تغلب الجهل على العلم فإن
المجتمع تتغلب عليه أربع سمات رئيسية:

أولاً: الظن بالله غير الحق ، فيقول سبحانه في سورة آل عمران : ﴿ يَطْمُتُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (آية : ١٥٤) ومن هذا الظن في القرآن الكريم : قوله سبحانه في سورة فصلت : ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آية : ٢٢).

وقوله عز وجل في سورة القصص : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمَ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (آية : ٣٩). وقوله تعالى في سورة فصلت : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسْبَى ﴾ (آية : ٥٠).

وقول تعالى في سورة ص : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (آية : ٢٧).

وقوله عز وجل في سورة الجاثية : ﴿ قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُظِنُ إِلَّا نُنَاجِيكَ ﴾ (آية : ٣٢). ثانياً: رفض حكم الله ، واتباع الهوى ، فيقول سبحانه في سورة المائدة : ﴿ وَإِن أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (آية : ٤٩ - ٥٠) ، ويعلل هؤلاء الجهلاء رفضهم لحكم الله ، بما

يدعون بأن الدين ثوابت والحياة في تغير مستمر ، بينما الدين - فيما عدا أحكامه التفصيلية في العبادات - أحكامه قواعد عامة ومبادئ

أساسية لم تتناول التفاصيل الجزئية إلا فيما ندر ، وذلك لكون هذه الأحكام قابلة للتطور والتغير من بيئة إلى أخرى ومن عصر إلى عصر ، فجدده في أحكام المعاملات مثلا يكتفى بالقواعد العامة ، ويترك لولاة الأمر في كل زمان أن يضعوا القوانين التي تتناسب مع هذه القواعد وفقا للمصالح العامة ، ولا أدرى ما الذى عاد على أوروبا بعد فصل الدين عن السياسة والحكم ، فقد استطاع الدين أن يمنع مثل الحربين العالميتين اللتين راح ضحيتهما ملايين الأوربيين ، وذلك أن الدين هو الحق والضمير الحى ونصرة الفضيلة وتحجيم الجشع .

ثالثا: إذا كانت المرأة نصف المجتمع فإنه من الطبيعى أن تنعكس الجاهلية عليها ، فيقول سبحانه فى سورة الأحزاب: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (آية: ٣٣) ، وهكذا يكشف النص الكريم امتلاء الشوارع بالنساء ، وقد أضعن الصلاة والزكاة ولم يخضعن لحكم الله ورسوله .

رابعا: إذا كان هذا الجهل هو الذى يتحكم فى مجتمع المسلمين ، فإنه يكون من الطبيعى أن تكون الفرصة قد أصبحت مواتية لأعدائهم للغارة عليهم ، فيقول سبحانه فى سورة الفتح: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (آية: ٢٦) ويكشف النص الكريم أن حمية أعداء المسلمين ، هى العقاب الطبيعى من الله عليهم لعلمهم يرجعون عن جاهليتهم . وإذا كان القرآن الكريم قد ذكر (الجاهلية الأولى) فإنه سبحانه يريد أن يلفت نظرنا إلى أن هذه الحالة ستتكرر كلما توفرت عناصر الجاهلية الأولى .

الحب

الحب في القرآن الكريم ضد الكره، وهو متعة نفسية تنزّين في القلب لقوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ أَلَيْمَنَ وَرَبَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ﴾ (آية: ٧)، وقوله سبحانه في سورة الزخرف: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِيَ الْأَنْفُسُ﴾ (آية: ٧١) وقوله سبحانه في سورة آل عمران: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ (آية: ١٤).

والحب يقوم على العلم لقوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُكُمْ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (آية: ٢١٦).

لذلك يكتسب الحب بنفس أدوات تحصيل العلم، وهي السمع، والبصر، والفؤاد الذي هو عمل القلب، ولهذا يمكن التحكم فيه بنفس وسائل تحصيله من حيث المنع، أو التحول عنه وقد أثبت العلم الحديث أن في مخ الإنسان مركز مسؤول عن الوجدان، وأنه يرتبط بالصورة، وهو ما يؤكد أن الحب يرتبط بالبصر كما يرتبط بالأذن والفؤاد، الأمر الذي يجعلنا أكثر تفهما لقول الله تعالى في سورة النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (آية: ٣٠).

وأهم الأدلة على الحب فى القرآن الكريم، هى أن يؤثر المحب المحبوب على نفسه، لقوله تعالى فى سورة الحشر: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (آية: ٩). وأخطر ما فى الحب حينما يكون من طرف واحد ، لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿هَاتَتْكُمْ أَوْلَاءٌ مُّحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ (آية: ١١٩)، وذلك لأن ما رأيته أنت فيمن أحببته، لم يراه هو فيك، أو أصبح لا يراه فيك. لذلك فإن الحب فى حاجة دائما إلى الذكاء، والعطاء المتبادل، لأن الحب لا يعيش إلا إذا كان هناك حرص من الطرفين على ذلك، وفى الحقيقة الحب يستحق أن نجتهد كى يعيش ويدوم، لأنه ببساطة يمنحنا متعة الحياة، ويساعدنا على تحمل قسوتها أحيانا.

وتكمن خطورة الحب من طرف واحد حينما يلجأ الإنسان إلى الخيال ليعوض به حرمان الواقع فيتصاعد للأسف الشحن العاطفى. وقد ثبت علميا أن هذا الشحن العاطفى يؤدى إلى تفاعل كيميائى يفعل نفس فعل الإدمان، فتتعقد المشكلة، ولما كان البعيد عن العين بعيد عن القلب، ولما كانت الوقاية خيرا من العلاج فقد جعل القرآن الكريم الوقاية فى غض البصر لقوله تعالى فى سورة النور: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَبَّ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ لِّمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (آية: ٣٠ - ٣١) أما العلاج فقد جعله سبحانه فى الصبر حيث يقول سبحانه فى سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ (آية: ٢٠).

وللحب في القرآن الكريم درجات يتصاعد إليها، فقد يصعد (الحبيب) إلى درجة (الأحب) لقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿إِذْ قَالَ الْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَمَا نَا﴾ (آية: ٨)، وقد يصعد (الأحب) إلى درجة (الحب الشديد)، لقوله سبحانه في سورة العاديات: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (آية: ٨)، أما أعلى درجات الحب فهو (الحب الأشد)، لقوله عز وجل في سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (آية: ١٦٥)، وكما هو واضح من الآية السابقة أن حب الله عز وجل يأتي على رأس كل درجات الحب، وهو ما تؤكد عليه سورة التوبة حيث تكشف الآيات أن حب الله ورسوله وحب الجهاد يأتي على رأس كل حالات الحب ثم يأتي بعد ذلك الترتيب التنازلي للأحباب في القرآن الكريم من الآباء إلى الأبناء إلى الإخوة إلى الأزواج إلى العشيرة إلى الأموال إلى التجارة وأخيرا إلى المسكن لقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (آية: ٢٤).

وقد يتطرف الحب، ويتحول إلى حالة غير سوية، وفي القرآن سبع حالات من الحب الذي ينطوى على فتنة ويحتاج إلى مقاومة وصبر.

الحالة الأولى: التي يتخذ فيها الإنسان ندا لله لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (آية: ١٦٥).

أما الحالة الثانية: فهي حالة الحب (الجم)، وهي حالة حب المال الذي يطغى على كل شيء فيمنعه من أن يقدم لحياته، فيقول سبحانه في سورة الفجر: ﴿وَجِبْتُمْ أَلْمَالَ جُبًا جُمَّاً﴾ (٢٠) ﴿لَا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (٢١) ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢) ﴿وَجِئْنَا بِبُحْبُوحٍ يَوْمِئِذٍ بِبُحْبُوحٍ يَوْمِئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَآنَى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (٢٣) ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤) ﴿آية: ٢٠ - ٢٤﴾.

والحالة الثالثة: هي حالة الحب (الشغوف)، وهو الحب الذي يصل بالمرأة إلى أن تراود الرجل عن نفسه، فيقول عز وجل في سورة يوسف: ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ فَدَّ سَعْفَهَا حُبًّا﴾ (آية: ٣٠).
والحالة الرابعة: حب العاجلة (الحياة الدنيا على الآخرة)، فيقول سبحانه في سورة القيامة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) ﴿وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢١) ﴿آية: ٢٠ - ٢١﴾.

والحالة الخامسة: هي حب شيوخ الفاحشة، لقوله عز وجل في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الذِّكْرِ أَمْنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (آية: ١٩).

والحالة السادسة: هي حب العمى على الهدى، لقوله تعالى في سورة فصلت: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (آية: ١٧).
والحالة السابعة: حب الإنسان للمحمده لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ (آية: ١٨٨).

ويكشف القرآن الكريم عن الذين يحبهم الله عز وجل من عباده، وهم المتقون لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آية: ٧٦).

والتبعون لرسول الله لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ (آية: ٣١).

والمحسنون لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاحْسِبُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آية: ١٩٥).

والتوابون والمتطهرون لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرَ فَأَنْوَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (آية: ٢٢٢).

والصابرون لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آية: ١٤٦).

والتوكلون لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آية: ١٥٩).

والمقسطون لقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (آية: ٤٢).

والذين يقاتلون في سبيله لقوله تعالى في سورة الصف: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ﴾ (آية: ٤).

والأذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين المجاهدون في سبيل
الله لقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾
(آية: ٥٤).

الحج

هذا الوجود الذي لا تعارض فيه ولا تدافع لأكبر دليل على **إن** أنه لا إله مع الله، مصداقا لقوله سبحانه في سورة الأنبياء:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾
 (آية: ٢٢) وقوله عز وجل في سورة المؤمنون: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ (آية: ٩١).

ولما كان الشرك بالله هو السر الكامن وراء كل انحراف لقوله تعالى في سورة الجاثية ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عَظْمٍ رَخِمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ (آية: ٢٣).

لهذا كانت قضية التوحيد في مسيرة الرسل الكرام هي القضية الكبرى. فنرى في قصة نوح عليه السلام قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ (سورة هود آية: ٢٥ - ٢٦) وفي قصة إبراهيم عليه السلام يقول سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عِذْقِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ

يَضْرُوبُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وِءَابَاؤُكُمْ الْأَقْلَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴿سورة الشعراء آية: ٧٠ - ٨٢﴾.

وهكذا في قصة موسى وعيسى ومحمد وسائر الأنبياء والمرسلين - عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين - ولا غرو فهم يأخذون من منبع واحد ويهدفون لغاية واحدة حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوْحٍ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ (سورة الأنبياء آية: ٢٥).

وقد كان طبيعياً أن يعلنها الإسلام صريحة مدوية على الناس جميعاً، وهو الرسالة الخاتمة، أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن يتخذ من ذلك يوماً يجعله تجسيدا لعقيدة التوحيد في مسيرة تأتي من كل فج عميق مرددين: لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

لذلك جعل الله الحج: هو الإتيان إلى البيت الحرام في أشهر معلومات لقضاء مناسكه لقوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ (آية: ٢٧) وقوله سبحانه في سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى

النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ ﴿ (آية: ٩٧)، وقوله عز وجل في سورة البقرة: ﴿ وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَكَرَّهُوا فَأَنْتَ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْوَى وَأَنْتُمْ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرْفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ﴿١٧٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَدْ ذِكْرًا ﴿ (آية: ١٩٧ - ٢٠٠).

والأمر الملفت للنظر أن فريضة الحج، لم يخص بها القرآن الكريم المسلمين وحدهم، بل جاء الأمر الإلهي ليشمل الناس جميعا حيث يقول سبحانه: ﴿ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (سورة آل عمران آية: ٩٧)، أما قول الله تعالى في سورة التوبة ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (آية: ٢٨)، فإن هذا النص الكريم لا يتعارض مع النص الذي سبقه، بل إنهما في الحقيقة يتكاملان، حيث إن الأول فرض الحج على كل الناس بما فيهم المشركين حتى يدرك الجميع أن إله المسلمين الواحد الذي فرض الحج، هو إله الجميع، أما حرمان المشركين من دخول البيت الحرام، فإنما يفسره قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آية: ٩٧)، أى إنه إذا كان للحج موانع شرعية، فإنه فى ذات الوقت قد جعل الإسلام على رأس أسباب وجوب الحج، وبذلك يكون حرمان المشركين من دخول البيت الحرام، هو فى حقيقة الأمر دعوة لهم إلى الإسلام، لكنها هى دعوة العزيز لعبده الشارد.

وإذا كان الله سبحانه قد اتخذ من الحج موسماً لرحمته بالمؤمنين حيث يفيض الحجيج من عرفات مغفورا لهم ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (سورة الحج آية: ٣٢) لذلك كان الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، كما تتيح هذه المسيرة المباركة للحجيج أن يشهدوا منافع لهم، فإنه سبحانه اتخذ من الحج موسماً يجدد فيه دعوة المشركين إلى دين التوحيد، ويبرىء الله ذمته وذمة رسوله من الشرك ويحمل المشركين مسؤولية شركهم حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (سورة التوبة آية: ٣).

الحسد

الحسد فى القرآن الكريم هو شر، لقوله تعالى فى سورة الفلق:

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (آية: ٥)، ويكشف القرآن الكريم أن شر الحاسد يتصاعد فى ثلاث مراحل، فإذا كانت المرحلة الأولى هى التى يتولد فيها الشر، فإن فى المرحلة الثانية يتصاعد الشر فى نفس الحاسد فيود رد الفضل عن المحسود وهذا ما نفهمه من قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَدَكَّيْرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (آية: ١٠٩)، وإذا كنا نفهم من النص السابق أن المؤمن يحسد على إيمانه، فإن الناس بصفة عامة قد يحسدون على ما أتاهم الله من فضل، وهذا ما نفهمه أيضا من قوله عز وجل فى سورة النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (آية: ٥٤).

أما المرحلة الثالثة فهى التى يعمل فيها الحاسد على منع الفضل عن المحسود ليحصل على هذا الفضل لنفسه، وهذا ما تكشف عنه أحداث غزوة خيبر، والتى سجلها القرآن الكريم فى سورة الفتح، فتضيف بذلك بعدا ثالثا للحسد. فقد كان يهود خيبر يكونون العداوة للمسلمين، بل ويتحينون الفرصة للنيل من المسلمين، فلما عاد المسلمون من صلح

الحديبية دون أن يتمكنوا من أداء العمرة وقبلوا شروط الصلح والتي كانت في ظاهرها بعض الإجحاف بالمسلمين، فظن يهود خيبر أن ذلك لم يكن إلا عن ضعف فأرادوا أن يستغلوا الظروف فبعثوا إلى غطفان ليعاونوهم على القضاء على المسلمين نظير نصف ثمار خيبر إن تم لهم النصر على المسلمين.

ولما كان الهجوم خير من الدفاع في حالة افتقاد وسائل الدفاع التي تمكن من صد هجوم متوقع خرج رسول الله - ﷺ - على رأس المسلمين الذين عادوا معه من شهر واحد من الحديبية، وكانوا ستمائة وألف رجل بينهم مائتا فارس، حيث توجهوا جميعا إلى موضع من أرض غطفان يربط بين غطفان وخيبر، وذلك ليحولوا بين تعاون غطفان مع خيبر، وإيهام غطفان بأن الهجوم موجه ضدهم، الأمر الذي اضطر قبيلة غطفان إلى الإسراع بالعودة إلى ديارها لحمايتها من أى هجوم للمسلمين وتركوا يهود خيبر وحدهم، فتوجه الرسول والمسلمون إلى خيبر بعد أن أرسل قوة من المسلمين لمباغثة ديار غطفان.

ولما كانت خيبر تضم ثلاث مجموعات من الحصون المنيعة، استمات المسلمون في الهجوم حتى بلغ عدد جرحى المسلمين في اليوم الأول خمسين جريحا، وبرغم استماتة اليهود أيضا في الدفاع عن حصونهم، إلا أنهم لم يستطيعوا منع تساقط الحصون بيد المسلمين، وانتهى الأمر باستسلام يهود خيبر بشرط حقن دمائهم، وإبقائهم على أرضهم على

أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم فيها، لأن موقف المسلمين لم يكن يسمح بالاستغناء عن أعداد منهم للتفرغ للزراعة، لحاجتهم لمواجهة عدوان القبائل عليهم.

ولما كانت مغنم هذه الحرب كبيرة لما هو معروف من ثراء اليهود، فقد حرص الأعراب أن يتبعوا المسلمين في جمع المغنم، لكنهم منعوا من ذلك بأمر من الله عز وجل عقاباً لهم على تخلفهم السابق عن المسير مع المسلمين للحرب بحجة واهية، ويسجل القرآن الكريم لهم هذا الموقف، في سورة الفتح فيقول سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ أَنْ لَنْ تَعْلَمُوا السَّيِّئَةَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ (آية: ١١ - ١٣).

ولقد كان طبيعياً أن يترتب على تخلف الأعراب عن الخروج مع المسلمين للحرب، أن يمنعوا من الخروج في تلك الحرب التي سيحصل منها المسلمون على مغنم كثيرة، لكن نفسية هؤلاء المنافقين من الأعراب، فسرت منع المسلمين لهم، التفسير الذي يتفق مع ما تنطوى عليه نفسيتهم من شر، فادعوا أن المسلمين منعوهم من اتباعهم في أخذ مغنم خبير، لتكون خالصة للمسلمين، فيقول سبحانه في سورة

الفتح: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُواهَا ذُرُونَا
 نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ
 قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ (آية: ١٥).
 وإذا كان القرآن الكريم قد سجل على المنافقين هذا الإدعاء الباطل
 الذي ادعوه على المسلمين، فإنه في نفس الوقت، قد كشف عن أعلى
 مراحل تطور الحسد في نفسية الحاسد، وهو العمل على منع الفضل
 عن المحسود وينبهننا القرآن الكريم أنه في كل الحالات يجب على
 المحسود أن يستعيذ بالله العلي العظيم من شر الحاسد، لقوله تعالى
 في سورة الفلق: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ
 غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ
 إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ (آية: ١ - ٥).

الخمير

الخمير فى القرآن الكريم، هو عصارة، لقوله تعالى فى سورة يوسف: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِي أَخَصِرُ خَمْرًا ﴾ (آية: ٣٦)، وتكشف الآيات أن من هذه العصارة ما يتخذ للسكر، ومنه ما هو رزق حسن، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى فى سورة النحل: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (آية: ٦٧). كما تكشف الآيات الكريمة أن من الخمير ما يسقى، لقوله سبحانه فى سورة يوسف ﴿ يَصْبِغِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ أَفَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ (آية: ٤١) ومن الخمير ما يشرب، لقوله عز وجل فى سورة محمد: ﴿ وَأَنْهَرْنَا مِنْ حَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ ﴾ (آية: ١٥)، ولما كان الواضح من النص السابق أن الخمير الذى يشرب، هو اللذة للشاربين، فإنه يكون الخمير الذى يسقى، هو الخمير المسكر. وتتناول الآيات الكريمة الأدلة على النوع المسكر من الخمير فيقول سبحانه فى سورة المائدة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ (آية: ٩١)، والواضح أن حالة السكر التى تقترب على شرب الخمير على رأس أسباب الصد عن الصلاة لقوله عز وجل فى سورة النساء: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ﴾ (آية: ٤٣).

ويتسع مفهوم الخمر في القرآن الكريم ليشتمل على المشروبات الكحولية والمخدرات أيضا، فقد كشفت الدراسات الحديثة، أن المخدرات تستخلص جميعها من عصارة، شأنها في ذلك شأن المشروبات الكحولية. فشجيرات الخشخاش: يخرج من تشريط ثمارها سائل أبيض لا يضر، ولكن عندما يترك للجو يتفاعل ما بداخله من الإنزيمات ويتحول إلى عصارة لزجة بنية اللون ثم سوداء نفاذة الرائحة هي الأفيون الخام ثم يستخرج منه الهيروين وهو شديد التركيز شديد الفتك.

ولما كان شرب الخمر يسبب إدمانا لشاربه، فقد تدرج القرآن الكريم فى نزول الآيات التى تتناول الخمر حتى تشتمل على علاج من أدمن شرب الخمر، فكان أول ما نزل من الآيات، قوله تعالى فى سورة الذل: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (آية: ٦٧).

وبعد أن هاجر الرسول الكريم إلى المدينة، وكان الخمر فيها شائعا أكثر من شيبوعه بمكة، فذهب بعض الصحابة إلى رسول الله - ﷺ - يقولون: أفتنا فى الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة للمال، وينزل الوحي الكريم، بقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ (آية: ٢١٩). ثم بعد فترة من الزمن صنع الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف طعاما، ودعا بعض أصحاب النبى - ﷺ - وأتاهم بخمر فشربوا، وحضرت صلاة المغرب، فتقدم أحدهم يصلى بالمدعوين،

وفى الغالب كان الإمام هو عبد الرحمن بن عوف فقراً سورة الكافرون:
﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ (آية: ١) دون أن يقرأ (لا) فقراها:
(قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) إلى آخر السورة، وقد كانت هذه
الحادثة سببا في نزول الوحي الأمين بقول الله تعالى في سورة النساء:
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾﴾
(آية: ٤٣).

ثم تأتى المرحلة الأخيرة، بهذا القول القاطع فى شأن الخمر فى
سورة المائدة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطٰنُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ
﴿٩١﴾﴾ (آية: ٩٠ - ٩١). وكان ذلك سنة ست أو ثمان من الهجرة على
خلاف بين العلماء.

وأخيراً، وبعد هذا العرض لموقف القرآن الكريم من الخمر، يمكننا
أن نتعرض للسبب الذى جعل القرآن لم ينص صراحة بتحريم الخمر
تحريماً عاماً مطلقاً، لأن الخمر إما أنه عصائر، لذة للشاربين، وإما أنه
عصائر تستخدم فى بعض الحالات العلاجية أو العمليات الجراحية،
لذلك فإنه اكتفى بأن يأمر من يشربون النوع الثانى من العصائر التى
تحولت إلى رجز بأن ينتهوا، وإلا كانوا ممن يعصون الله ما أمرهم به،
والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأخوة

الأخ في القرآن الكريم هو من الأهل ، لقوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَأَجْعَلْ لِي زُرَّامِينَ أَهْلِي ﴾ (٢٩) هُرُونَ أَخِي ﴿ ٣٠ ﴾ (آية : ٢٩ - ٣٠) ، والأخ هو ابن الأم لقوله سبحانه في سورة الأعراف : ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ ﴾ (آية : ١٥٠) ، والأخ هو ابن الأب ، لقوله عز وجل في سورة يوسف : ﴿ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ ﴾ (آية : ٥٩) ، ويكشف القرآن الكريم أن المؤمن أخ أيضا ، فيقول جل شأنه في سورة الحجرات ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (آية : ١٠) .

لذلك كان من اليسير على النبي أن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار عقب الهجرة إلى المدينة ويسجل القرآن الكريم تلك المؤاخاة التاريخية ، في قوله سبحانه في سورة الحشر : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آية : ٩) . وهكذا يسجل النص الكريم حق الأخ على أخيه المؤمن ، وهو حبه وأن يؤثره على نفسه ، ولو كان به حاجة .

وفي هذا المعنى يقول ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة

فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» كما يقول عليه الصلاة والسلام: «المسلم للمسلم كالبنين يشد بعضه بعضاً» ويقول ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

ولما كان التنازع على رأس أسباب قطع روابط الإخاء، فقد جعل القرآن الكريم من حقوق الأخوة عدم التنازع، فيقول سبحانه في سورة الأنفال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (آية: ٤٦). ومن حق الأخ على أخيه المسلم أن يصلح بين الأخوين، فيقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (سورة الحجرات آية: ١٠).

كما أنه من حق الأخ على أخيه المسلم الدعاء له، فيقول سبحانه في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (آية: ١٠).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلاً زار أخاه في قرية، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربتها؟ قال: لا. غير أنى أحببته فى الله، قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحببك كما أحببته فيه».

أردل العمر (الزهايمر)

العمر في القرآن الكريم حالة تصيب بعض الناس في مراحل مختلفة من مراحل أعمارهم، ويكشف النص القرآني أن

أردل

الحالة تتطور في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى منها تظهر أعراضها على الإنسان في عدم القدرة على الفهم الصحيح الذي يجعل حكمه يعتمد على الظاهر، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في سورة هود ببدء الرأي في قوله تعالى: ﴿مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَنْتَ إِلَّا الْآدَمِيَّةُ هُمْ أَرَادُوا بَدِي الرَّأْيِ﴾ (آية: ٢٧).

والمرحلة الثانية هي عبارة عن مزيد من تدهور المرحلة الأولى حيث تظهر الأعراض في عدم قدرة الإنسان على مواصلة التعلم، فيقول سبحانه في سورة النحل: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (آية: ٧٠).

أما المرحلة الثالثة فتظهر أعراض المرض في فقدان ما تعلمه الإنسان من قبل، وهذا ما يقره النص الكريم في سورة الحج: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (آية: ٥).

والمدحش حقا أن يأتي ترتيب السور التي وردت فيها مراحل المرض بنفس ترتيب تطور المرض، فتأتي سورة هود في القرآن الكريم قبل سورة النحل وسورة الحج بعدهما.

والقرآن الكريم برغم أنه ربط بين المرض والعمر، فإنه لم يحدد عمرا معيناً لبداية ظهور الأعراض، وهذا إن دل فإنما يدل على أن المرض يتفاوت ظهور أعراضه من عمر إنسان إلى عمر إنسان آخر. وأخيراً إذا كان القرآن الكريم قد كشف أن المرض يتطور في ثلاث مراحل فإن يمكن أن نفهم منه أن اكتشاف المرض مبكراً قد يمنع تدهور الحالة، أو تطورها إلى المرحلة الأسوأ، وخاصة وأن القرآن الكريم قد نص على أن كل الأمراض قابلة للشفاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (سورة الشعراء آية: ٨٠).

الشقاء

ضد السعادة، لقوله تعالى في سورة هود: ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِيلَيْنِ فِيهَا ﴿آية: ١٠٥ - ١٠٧﴾.

والشقاء، هو ما يغلبك من الطغيان، لقوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ (آية: ١٠٦)، وقوله سبحانه في سورة الشمس: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾ ﴿١١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١١٢﴾ ﴿آية: ١١١ - ١١٢﴾.

ويكشف القرآن الكريم أن السبب الرئيسي في شقاء الحياة الدنيا هو السعي في طلب حاجتنا المعيشية، فيقول تعالى في سورة طه: ﴿فَقُلْنَا يَتَّادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنْكَ لَا تَطْمَأُنُّ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ ﴿آية: ١١٧ - ١١٩﴾.

وإذا كان القرآن الكريم، قد كشف لنا عن السبب في شقاء الحياة الدنيا، إلا إنه قد كشف لنا في نفس الوقت عن مبدأ اقتصادى هام، وهو الترتيب التنازلى للحاجات المعيشية، لنسترشد بها عند توزيع دخل الأسرة، أو دخل الدولة على أعباء الحياة، فالطعام يتقدم على كل متطلبات المعيشة، والملابس تأتي في المرتبة الثانية، ثم يأتي الماء في المرتبة الثالثة، وأخيراً يأتي السكن.

وهنا ربما يقول قائل كيف تتقدم حاجتى إلى الماء على حاجتى للسكن وتكاليف السكن تفوق تكاليف الماء بكثير. نقول إن السبب ليس هو تكاليف مادية فقط، وإنما هو أيضا الجهد اليومي للحصول على الماء، أما الجهد المادى، فإنه يجب ألا تحتسب ما يدفع للسكن على أنه لفرد واحد، أو جيل واحد، وإنما يجب أن تحتسب نصيبك فقط من هذه الرحلة الطويلة، وهنا سيتبين لك أنه بحق هو أقل تكاليف الحاجات المعيشية، وإن تحملت أنت وحدك تكاليف حاجات أجيال بعدك.

لكن القرآن الكريم عاد فكشف عن شقاء آخر غير شقاء المتطلبات الأساسية للحياة المعيشية، فيقول سبحانه فى سورة طه: ﴿ قَالَ أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ ﴾ (آية: ١٢٣ - ١٢٤).

وكما هو واضح من النص الكريم أن هذا الشقاء ليس بسبب متطلبات المعيشة، وإنما بسبب الضلال، والذى سيضيف إليهم شقاء إلى شقائهم يضاعف من معاناتهم، فيقول سبحانه فى سورة يونس: ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (آية: ١٠٨).

فمن معاناة الضلال فى القرآن الكريم:

أولا: ضيق الصدر، لقوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (آية: ١٢٥).

ثانيا: عمى الطغيان ، لقوله سبحانه في سورة الأعراف: ﴿ مَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (آية: ١٨٦).

ثالثا: القنوط من رحمة الله ، لقوله عز وجل في سورة الحجر: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ (آية: ٥٦).

رابعا: اتباع الهوى ، لقوله تعالى في سورة القصص: ﴿ وَمَن أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ (آية: ٥٠).

خامسا: الشقاق ، لقوله سبحانه في سورة فصلت: ﴿ مَن أَضَلُّ مِمَّن هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴾ (آية: ٥٢).

سادسا: قسوة القلب ، لقوله عز وجل في سورة الزمر: ﴿ قَوْلٌ لِّلنَّفْسِيةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (آية: ٢٢).

سابعا: عمى الضلالة ، لقوله تعالى في سورة النمل: ﴿ وَمَا أَتَ بِهَدًى الْعَميِّ عَن ضَلالَتِهِمْ ﴾ (آية: ٨١).

ثامنا: عصف الريح بأعمالهم ، لقوله سبحانه في سورة إبراهيم: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ ﴾ (آية: ١٨).

تاسعا: الشهوة التي تصل إلى تراود المرأة والرجل عن نفسيهما ، لقوله عز وجل في سورة يوسف: ﴿ وَقَالَ يَسوةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَتُ العَزِيزِ تُرِودُ فَتَها عَن نَفْسِهِ فَذَ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِها فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (آية: ٣٠).

الشیطان

إِذَا كان آدم عليه السلام، هو الإنسان الأول في القرآن الكريم، فأبليس هو الشيطان الأول وذلك بعد أن وسوس لآدم وزوجه، وغرر بهما حتى زلا، وهكذا كانت عداوة الشيطان للإنسان عداوة تاريخية بدأت منذ بدأ تاريخ الإنسان، فيقول تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ (آية: ٣٥ - ٣٦)، وللتأكيد على عداوة الشيطان للإنسان تتكرر آيات القرآن الكريم والتي تنص صراحة على ذلك، منها قول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (آية: ٥) ونفس المعنى في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (آية: ٥٣). لذلك كان طبيعياً أن يأمرنا المولى عز وجل بالأبتبع خطوات الشيطان، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (آية: ٢٠٨). بل والأكثر من هذا يأمرنا جل في علاه أن نتخذ الشيطان عدواً، فيقول سبحانه في سورة فاطر: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (آية: ٦).

وإذا كان إبليس هو أول الشياطين، فإنه كان من الجن من هم شياطين مثله، وللأسف كان من ذرية آدم من هم شياطين أيضا، وهذا ما نفهمه من قول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا﴾ (آية: ١١٢). وقوله سبحانه في سورة الناس: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (آية: ٤ - ٦).

وإذا كان الشيطان هو من يوسوس ويغرر، فإنه يحاول أيضا مع الملائكة الأعلى أن يسترق السمع، فيقول تعالى في سورة الصافات: ﴿إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ (آية: ٦ - ١٠)، ويكشف القرآن الكريم عن حقيقة هامة وهي أن الشيطان كافر، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرِ﴾ (آية: ١٠٢).

والشيطان ليس له على الإنسان سلطان، وهذا ما تقرره آيات القرآن الكريم، فيقول تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ﴾ (آية: ٢٢)، ويكشف القرآن الكريم أن هؤلاء الذين استجابوا، إنما هم من الغاوين، لقوله سبحانه في سورة الحجر:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (آية: ٤٢)، كما يكشف النص الكريم أن الذي جعل للشيطان على هؤلاء سلطان هو طغيانهم، فيقول عز وجل في سورة الصافات: ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنَّمُ قَوْمًا طَغَيْنَ ﴾ (آية: ٣٠).

أما المؤمنين فليس للشيطان عليهم سلطان، حيث يقول سبحانه في سورة النحل: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (آية: ٩٩)، كما أننا نفهم من القرآن الكريم، أن كيد الشيطان بصفة عامة ليس قويا، فيقول عز وجل في سورة النساء: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَبِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (آية: ٧٦).

وإذا كان الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين إلا أنه له مداخل عليهم: يقول تعالى في سورة الأعراف: ﴿ يَنْبِيءَ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرْتِكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (آية: ٢٧). ويقول سبحانه في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالآزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آية: ١٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (آية: ١١) (٩٠ - ٩١)، ويقول في سورة الأنعام: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُهُ ﴾

اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُحُونَ إِلَيَّ أُولِيَآبِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ
 أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ (آية: ١٢١)، ويقول عز وجل في سورة
 الأعراف: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
 ﴿٢٠﴾ إِنَّكَ الَّذِينَ أَنْتَقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
 مُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ (آية: ٢٠٠ - ٢٠١).

ويقول تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَآئِ وَأُوَيْلَآءِ رُبِّيَ مِن قَبْلُ
 قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن
 بَعْدِ أَن نَزَّغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ (آية: ١٠٠)، ويقول سبحانه
 في سورة الأنعام: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آءَانِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا
 فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 ﴿٦٨﴾ ﴾ (آية: ٦٨)، ويقول في سورة الإسراء: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي
 هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾
 (آية: ٥٣)، ويقول عز وجل في سورة النور: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (آية: ٢١)، ويقول تعالى في سورة المجادلة: ﴿ إِنَّمَا
 السَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى
 اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (آية: ١٠). وهذه كلها هي مداخل الشيطان
 إلى المؤمنين.

وإذا كان الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين، فإن الشيطان هو الذى سول للمرتدين، فيقول سبحانه فى سورة محمد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ آذَانِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (آية: ٢٥)، ويكشف تتابع الآيات فى نفس السورة أن السبب الرئيسى هو أن المرتدين أطاعوا أعداء الإسلام فى بعض الأمر، كما أنهم نفسياً كرهوا رضوان الله، وفى هذا يقول عز وجل فى سورة محمد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٢٦) ﴿كَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمُ﴾ (٢٧) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٢٨) ﴿(آية: ٢٦ - ٢٨)، وطبيعى أن يكون كره المرتدين لرضوان الله يشتمل على كرههم أن يعملوا ما يرضى الله، وأيضاً كرههم للموت وللجنة ما دامت تتطلب أن يعملوا ما يرضى الله، وهذا أحبط ما عملوا من خير فى حياتهم الدنيا.

أما الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فيقول تعالى فى سورة مريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْوُهُمْ أَزْوَاجَهُمْ﴾ (آية: ٨٣)، فقد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فيقول سبحانه فى سورة الأعراف: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (آية: ٣٠)، هؤلاء

يكون الشيطان قرينا لهم، فيقول تعالى في سورة النساء: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۗ﴾ (آية: ٣٨)، وهو أيضا وليهم، فيقول سبحانه في سورة النحل: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابُ آلِيمٍ ۗ﴾ (آية: ٦٣)، ويقول عز وجل في سورة النساء: ﴿وَلَا ضَلَّانَهُمْ وَلَا مُتَّبِعِينَ وَلَا مُؤْمِنَةً فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْيَمَ فَلْيَعْرِضْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۗ﴾ (آية: ١١١) يعيدهم وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۗ﴾ (آية: ١١٩ - ١٢٠).

كما يكشف القرآن الكريم أن الشيطان يخوف أوليائه، فيقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ ۗ﴾ (آية: ١٧٥)، كما يصد أتباعه عن السبيل، فيقول سبحانه في سورة النمل: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا بِسْجُودٍ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۗ﴾ (آية: ٢٤)، ويقول سبحانه في سورة المجادلة: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۗ﴾ (آية: ١٩)، ويقول سبحانه في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ

وَقَالَ إِنِّي بريءٌ منكم إِنِّي أرى ما لا ترون إِنِّي أخافُ اللهَ واللهُ شديدُ العقابِ ﴿٤٨﴾ (آية: ٤٨)، ويقول عز وجل في سورة فاطر: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٦﴾ (آية: ٦)، ويقول سبحانه في سورة يس: ﴿الَّذِينَ يَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُم لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ (آية: ٦٠)، كما يقول عز وجل في سورة النساء: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ (آية: ٣٧ - ٣٩).

وأخيرا، فإن القرآن الكريم حرص على أن يعدد النصح للناس جميعا حتى لا يكون للشيطان أى أثر ينعكس عليهم، فيقول تعالى في سورة البقرة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٣٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٩﴾ (آية: ١٦٨ - ١٦٩)، ويقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٦٨﴾ (آية: ٢٦٨)، ويقول عز وجل في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّلِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ

كُفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴿آية: ٢٧﴾، ويقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِن لَّا دُرُوءُ لِي وَلَا لِيَوْمَئِذٍ لَّسَمِيحًا مَّرِيْمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴿آية: ٣٦﴾، ويقول سبحانه في سورة القصص: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴿آية: ١٥﴾، ويفهم من النص الكريم أن القتل من عمل الشيطان، ويقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴿آية: ٢٧٥﴾.

وأخيرا، وإذا كان الشيطان للإنسان خذولا، فإنه في الآخرة أشد خذلانا بعد أن فوت عليهم فرصة الحياة الدنيا، فيقول عز وجل في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴿آية: ٢٢﴾.

الصلاح

ضد السوء، لقوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (آية: ٥٨).

والصلاح: هو حسن العمل، لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (آية: ٣٠).
ولما كان القرآن الكريم حريصا كل الحرص على صلاح الناس، فقد
كشَفَ عن أساس صلاح الفرد والجماعة، فجعل قاعدة الصلاح، تبدأ
من الإنسان نفسه، فيقول سبحانه في سورة الروم: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلَا نَفْسِيهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (آية: ٤٤)، كما يقول عز وجل في سورة المائدة:
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (آية: ١٠٥).

وطبيعي أن يحرص الإسلام كل الحرص على ألا يكلف نفسا
إلا وسعها، فإنه لم يطالب الإنسان بالصلاح إلا بقدر الاستطاعة، فيقول
سبحانه في سورة هود: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (آية: ٨٨).
وينبه القرآن الكريم بداية أنه إذا كان الكلم الطيب من الصلاح، فإنه
لا يرفعه إلا العمل الصالح وهذا ما نفهمه من قوله تعالى في سورة فاطر:
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (آية: ١٠).

ويكشف القرآن الكريم عن الصفات التي يتحلى بها كل الصالحين، فهي الصدق والمعروف والإصلاح بين الناس، فيقول سبحانه في سورة النساء: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آية: ١١٤)، أما الصفة التي تتفاوت بين المصلحين، فهي صفة السرعة في الاستجابة لعمل الخير، فيقول سبحانه في سورة آل عمران: ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آية: ١١٤)، فنفهم من قوله تعالى (وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) أن البعض منهم لا يسارعون في الاستجابة لعمل الخير، والسبب في ذلك يكشف أيضا عنه القرآن الكريم في قوله عز وجل في سورة التوبة: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَمَلًا آخَرَ سِئَاءًا﴾ (آية: ١٠٢)، ويبشر الله جميع الصالحين أن لهم أجرا كبيرا؛ فيقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (آية: ٩).

وللأسف أن القرآن الكريم يكشف لنا أن الصالحين في مجموعهم قلة بين الناس، فيقول سبحانه في سورة ص: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (آية: ٢٤).

ولما كان من فضل الله على عباده، أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، لذلك فإن الإنسان الصالح يتفضل الله عليه بالخير، فيقول سبحانه في

سورة النساء: ﴿وَالصَّالِحُ خَيْرٌ﴾ (آية: ١٢٨)، وأن الله هو مولاه، لقوله تعالى في سورة التحريم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آية: ٤)، كما أنه سينعم عليه بالحياة الطيبة، فيقول سبحانه في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ (آية: ٩٧).

كما أن الإنسان الصالح موفق فيما يعمل، فيقول عز وجل في سورة النساء: ﴿إِن يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (آية: ٣٥)، ويكشف القرآن الكريم أن العمل الصالح للآباء يرحم الأبناء، حيث يقول سبحانه في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ (آية: ٨٢) ويفهم من النص الكريم أن الذي حفظ الكنز هو صلاح الأب.

ولما كان اليتامى بفقدانهم آباءهم أصبحوا عرضة للانحراف، لأن هناك فرق بين مفهوم الصلاح، والذي هو احتفاظ الفرد بفطرته السوية، وبين الإصلاح، والذي هو يعالج ما فسد من الإنسان، ولهذا يدعونا القرآن الكريم إلى العمل على إصلاح اليتامى، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي مَنَعْنَا قُلُوبَهُمْ حَيَّرُ﴾ (آية: ٢٢٠).

كما يكشف القرآن الكريم عن أمر آخر فى غاية الأهمية يجنيه الصالحون فى الحياة الدنيا، وهو تجنبهم الهلاك، لقوله تعالى فى سورة هود: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (آية: ١١٧).

أما جزاء الإنسان الصالح فى الآخرة، فهو لقاء الله عز وجل، حيث يقول سبحانه فى سورة الكهف: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ (آية: ١١٠) كما أن الإنسان الصالح لا يخاف يوم القيامة ظلما ولا هضما، فيقول تعالى فى سورة طه: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (آية: ١١٢)، وأخيرا يتفضل عليه ربه بدخول الجنة، فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا ﴾ (آية: ١٢٤).

الصوم

الصوم هو الأكل والشرب حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم إتمام الصيام إلى الليل، لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِيلِ﴾ (١٨٧). وهكذا يكون الصوم سلوكا وضع القرآن الكريم إطاره الجامع لليل الصائم ونهاره... ومن هذا التعريف الدقيق للصوم نفهم أن الوصال في الصيام ليس من الصوم في شيء، والصوم قد يكون أيضا بعدم الكلام، لقوله تعالى في سورة مريم ﴿فَأِمَّا تَرَىٰ مِنَ الْبَشَرِ حَدًّا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (آية: ٢٦). والصوم بالإمساك عن الأكل والشرب من الفجر إلى الليل بنية الصيام قبل الفجر، هو الذي فرضه الله عز وجل على المؤمنين طوال شهر رمضان، لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ شَهْرًا فَلْيَصُمْهُ ﴿١٨٥﴾﴾ (آية: ١٨٣)

(١٨٥ -). ويفهم من هذا النص الكريم، أن نفس الصوم الذى فرضه الله تعالى على المسلمين هو ذاته الذى فرضه على الذين من قبلهم، وأنه سبحانه لم يكلفهم بأكثر مما كلف به من سبقوهم، وإن كان فى ذات الوقت يذكر الذين سبقوا المؤمنين بالصوم بأنه هو الذى فرض عليهم، وأنه سبحانه لم يختص المؤمنين بما هو أيسر، وذلك هو ما نفهمه من ذكر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (سورة البقرة آية: ١٨٣).

ويبيح القرآن الكريم الفطر للمسافر والمريض، على أن يقضى كل منهما أياما فى غير رمضان بعدد ما أفطر، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (سورة البقرة آية: ١٨٤)، كما يبيح الفطر لمن يعجز عن الصيام لشيخوخته أو مرض لا يرجى الشفاء منه، ولا قضاء عليه، لقوله سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ (سورة البقرة آية: ١٨٤)، وقد اختلف العلماء فى الفدية، فمنهم من قال لا فدية عليه، ومنهم من أوجب الفدية، وهى إطعام مسكين عن كل يوم. وفرض الله عز وجل صوما آخر غير صوم رمضان كفارة لبعض الذنوب وهى أربع:

أولا: القتل الخطأ، لقوله تعالى فى سورة النساء ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ

فَدَيْكُمُ مَسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ. وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ (آية: ٩٢).

ثانيا: الذين يظاهرون من نساءهم، لقوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ﴿﴾ (آية: ٣ - ٤).

ثالثا: عدم حفظ الأيمان، لقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ ۖ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ (آية: ٨٩).

رابعا: فدية نسك، لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعًا إِذَا تَمَّ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿﴾ (آية: ١٩٦).

أما مكاسب صوم شهر رمضان في القرآن الكريم فهي أربعة عشر مكسبا:

- الإيمان بالله ورسوله: الصائم مؤمن بالله ورسوله لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴿﴾ (آية: ١٨٣).

- العفو: فى صيام رمضان يعفو الله عز وجل فلا يكون جزاء ما قد سلف من السيئات سيئات مثلها، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ (آية: ١٨٧).
- المغفرة: صائم رمضان مغفور له فلا يعذب على ذنب أو إثم فيقول سبحانه فى سورة الأحزاب: ﴿وَالصَّالِحِينَ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَنَفَظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ (آية: ٣٥).
- الطاعة: فى صيام رمضان طاعة لله عز وجل لقوله سبحانه فى سورة البقرة: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ (آية: ١٨٤).
- العبادة: صائم رمضان عابد لله لقوله سبحانه فى سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ (آية: ١٨٦).
- الشكر: صائم رمضان شاكر لله لقوله سبحانه فى سورة البقرة: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ (آية: ١٨٦).
- الإجابة: صائم رمضان مجيب لله لقوله سبحانه فى سورة البقرة: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (آية: ١٨٦).
- الخير: والخير هو ما يصيب فتطمئن به، وصوم رمضان سبب فى الخير لقوله سبحانه فى سورة البقرة: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آية: ١٨٤).

• القرب من الله عز وجل: صائم رمضان قريب من الله لقوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (آية: ١٨٦).
• إجابة الدعاء: صائم رمضان مجاب الدعوة لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ (آية: ١٨٦).

• الأجر العظيم: لصائم رمضان أجر عظيم أعده الله له لقوله سبحانه في سورة الأحزاب: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (آية: ٣٥).

• الهدى: صائم رمضان مهتدى لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ (آية: ١٨٥).

• التقوى: إذا التزم الصائم بشروط الصوم، وكان له من مكاسب الصوم السابقة كان صائم رمضان من المتقين لقوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾ (آية: ١٨٣). والتقوى هي مفتاح الفوز في الدنيا، والفوز بالجنة.

الضحك

الضحك في القرآن الكريم ضد البكاء، وهو من صنع الله في خلقه، لقوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ (آية: ٤٣ - ٤٤). والضحك هو تبسم يستبشر به الوجه، لقوله سبحانه في سورة النمل: ﴿فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿١٩﴾﴾، وقوله عز وجل في سورة عبس: ﴿وَجُوهٌ يُّومِذُ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ (آية: ٣٨ - ٣٩). ومواقف الضحك في القرآن الكريم تسع منها ثمانى في الحياة الدنيا، وموقف واحد في الآخرة.

أولاً: الضحك من قول، لقوله تعالى في سورة النمل: ﴿فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿١٩﴾﴾.

ثانياً: الضحك من فرح، لقوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (آية: ٨١ - ٨٢).
ثالثاً: الضحك بشراً، لقوله عز وجل في سورة عبس: ﴿وَجُوهٌ يُّومِذُ

مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ (آية: ٣٨ - ٣٩).

رابعاً: الضحك تعجباً من حديث، لقوله تعالى في سورة النجم:

﴿فَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (آية: ٥٩ - ٦٠).

خامساً: الضحك من منظر خوف إنسان، لقوله سبحانه في سورة

هود: ﴿فَلَمَّارَةً أَيْدِيَهُمْ لَّا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ
إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرًا لَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ
إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَنْوِلَنِي الْعِلْدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ (آية: ٧٠ - ٧٣).

سادساً: الضحك سخرية، لقوله عز وجل في سورة المؤمنون: ﴿إِنَّهُ كَانَ
فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ
سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَتَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (آية: ١٠٩ - ١١٠).

سابعاً: الضحك مما يعتقد أنه سحر، لقوله تعالى في سورة الزخرف

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَكَالَ إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ
أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (آية: ٤٦ - ٤٨).

ثامناً: ضحك المجرمين من المؤمنين لاعتقادهم أنهم ضالون، لقوله

سبحانه في سورة المطففين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ
﴿٣٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (آية: ٢٩ - ٣٢).

أما فى الآخرة فسوف يضحك المؤمنون على الكفار لتلك النتيجة العكسية التى سيصطدم الكفار بها حيث كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأن أفعالهم فى الحياة الدنيا سيكون لها الثواب العظيم لكن المفاجأة تكون فى سورة الأحقاف فى قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (آية : ٢٠) ، لذلك يضحك المؤمنون فيقول عز وجل فى سورة المطففين: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (آية : ٣٤ - ٣٦) .

وأخيرا فإن الضحك لم يخلقه الله عبثا - جل فى علاه - وإنما خلقه الله ليكون دليلا ماديا على حالة الإنسان النفسية، كما أثبت الطب الحديث، أن للضحك عدة فوائد، فالذين يضحكون يتمتعون بحالة صحية أفضل ممن لا يضحكون لأنه يفيد فى بناء الهرمونات المرتبطة بالسرور، كما يساعد على زيادة دفاعات الجهاز المناعى فى الأوعية الدموية.

العبادة

شئ في الكون محكوم بعلاقات محددة بمنتهى الدقة، **كل** فنسبة الأكسجين في الهواء مثلا، لو قلت درجة واحدة عما هي عليه لاحترق كل من في الأرض، ولو زادت درجة واحدة عما هي عليه لاحترق كل من في الأرض.

والقرآن الكريم يكشف أن كل ما في الحياة محكوم بنفس العلاقات الدقيقة، حيث يلفت نظرنا إلى أن كل شئ ونقيضه يفصلهما خيط رفيع، لو تعدى أى منهما درجة واحدة، انقلب الشئ لضده، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾؛ (آية: ١٨٧). فالذى يفصل بين الأسود والأبيض خيط رفيع، لو تعدى أى منهما ذلك الخيط الرفيع لانقلب الأسود أبيض والأبيض أسود.

ولما كانت علاقة الإنسان بالحياة، هي على رأس كل العلاقات، لذلك كان لابد من حسم قضية الخلق، فيقول عز وجل في سورة الطور: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْفُونَ﴾ (آية: ٣٥)، ولما كانت الإجابة عن هذا التساؤل في صالح الخالق سبحانه الذى لا شريك له، كنا فى حاجة إلى معرفة طبيعة علاقة المخلوق بخالقه، فيقول تعالى

فى سورة الذاريات: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (آية: ٥٦ - ٥٨)، وإذا كانت هذه الآية الكريمة قد حددت حق الخالق على المخلوق فى أن يعبد المخلوق خالقه، فما هى هذه العبادة ؟

العبادة هى اتخاذ ولى تخلص لأوامر دينه لقوله تعالى فى سورة الكهف: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ ﴾ (آية: ١٠٢) وفى سورة البينة: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (آية: ٥). ويكشف القرآن الكريم أن الناس أمام عبادة الله فريقان: فريق يعبد الله ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (سورة البقرة آية: ٢٨٥)، وفريق لا يعبد الله ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (سورة البقرة: ٩٣)، وطبيعى أن يكون لكل فريق رؤيته، والأسباب التى جعلته يتخذ هذا الموقف. أما عن الأسباب التى جعلت من الناس من يعبد الله فهى:

أولاً: إن الله سبحانه هو المستحق بالعبادة لأنه هو الذى فطر الإنسان وإليه يرجع، لقوله تعالى فى سورة يس: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (آية: ٢٢).

لذلك فهم مقتنعون بأنهم يجب عليهم الخضوع لأوامر الله. ثانياً: يكشف القرآن الكريم أن من بين هؤلاء العباد من يعبد الله على حرف، لقوله تعالى فى سورة الحج: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ

حَرْفِي فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا
لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ
الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴿آية: ١١ - ١٣﴾.

أما عن الأسباب التي جعلت من الناس من لا يعبد الله فهي:

أولاً: الاستكبار عن آيات الله، والاستنكاف عن عبادة الله، لقوله
تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَكُنْتُمْ عَن آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿آية: ٩٣﴾،
وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَن عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ
فَسَيَحْشُرْهُمُ إِلَهًا جَمِيعًا﴾ ﴿آية: ١٧٢﴾.

ثانياً: غواية الشيطان (إبليس)، فعبدوه حيث يقول تعالى في سورة
ص: ﴿قَالَ فَعَرَّيْكَ لَأُعوينَهُم أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴿آية: ٨٢ - ٨٣﴾. ويقول سبحانه في سورة يس: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ
يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ ﴿آية: ٦٠﴾.

ولكن لما كان الدين فطرة في الإنسان، لقوله عز وجل في سورة الروم:
﴿حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ﴿آية: ٣٠﴾ ولما كان مستقراً في
نفس الإنسان أنه عبد وأن له إلهاً، الأمر الذي يضطره أن يتخذ معبوداً
لا ينفعه ولا يضره إرضاء لفطرته وليس خضوعاً لخالقه؛ فنراه قد
يعبدون بقرة، أو تمثالا، أو صورة، برغم أنهم يعلمون يقيناً أنهم هم

الذين رسموها، فيقول تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (آية: ٦٦).

وقد اهتم القرآن الكريم أن يعرض لصفات العابدين، فيقول سبحانه في سورة آل عمران: ﴿ قُلْ أُوْتَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ (آية: ١٥ - ١٧).

ويقول سبحانه في سورة الزمر: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَن يعبُدوها وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ (آية: ١٧ - ١٨).

ويقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (١٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨﴾ (آية: ٦٣ - ٦٨).

كما يقول سبحانه في سورة الإنسان: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ
كَانَتْ مِرْجَاهَا كَأُفُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْغَدْرِ
وَيَحْفُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُهِ وَبِئْسَ كَيْدًا وَبِئْسَ أَسِيرًا ﴿٨﴾
إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ﴿١٠﴾
فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ يَمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾
مُتَّكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا
نَدْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ (آية: ٥ - ١٤).

ويقول سبحانه في سورة المؤمنون: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقًا مِّنْ عِبَادِي
يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرًا
حَتَّىٰ آسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (آية: ١٠٩ - ١١٠).

ويقول سبحانه في سورة التوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْدِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ
أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾ التَّائِبُونَ الْعَمَدُونَ الْحَمْدُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
السَّاجِدُونَ لِأَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ
لِحُدُودِ اللَّهِ وَسَبَّحْتَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ (آية: ١١١ - ١١٢).

وطبيعي أن يكون للعابدين جوائز في الحياة الدنيا، إلى جانب
جوائزهم في الآخرة.

وفى مقدمة تلك الجوائز فى الحياة الدنيا أن الأرض جعلها الله
 ميراثا خاصا لهم، فيقول سبحانه فى سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا
 فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (آية: ١٠٥)
 ١٠٥). بل وكل ما فى الأرض من رزق فهو أصلا لعباد الله، فيقول
 سبحانه فى سورة ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ
 الْحَصِيدِ ﴿١﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٢﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً
 مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (آية: ٩ - ١١).

لكن القرآن الكريم يعود فينص على أن الله سبحانه لا يبسط الرزق
 لجميع عباده وإنما يبسطه للبعض منهم، فيقول سبحانه فى سورة سبأ:
 ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ (آية: ٣٩)، ويوضح
 أن السبب فى ذلك الخشية من بغى البعض منهم، فيقول سبحانه فى
 سورة الشورى: ﴿وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ
 بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (آية: ٢٧). لكن القرآن الكريم
 يؤكد على أن عباد الله بصفة عامة سيحصلون على ما يكفيهم فى تلك
 الحياة، فيقول سبحانه فى سورة الزمر: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (آية: ٣٦).

وينص القرآن الكريم أن من جوائز عباد الله فى الحياة الدنيا إجابة
 الدعاء، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾ (آية: ١٨٦)، لذلك يقول سبحانه في سورة الأنبياء: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (آية: ٨٤).

وقد كشف القرآن الكريم أن عباد الله ليسوا سواء، بل منهم الصالحون الذين على رأسهم الصفاة، ومنهم أيضا نعم العباد، ومنهم من يخشون الله، ومنهم المخلصون، ومنهم الشاكرون، حيث يقول سبحانه في سورة النمل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ (آية: ٥٩).

ويقول سبحانه في سورة ص: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ (آية: ٤٤)، ويقول عز وجل في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (آية: ٢٨)، ويقول سبحانه في سورة ص: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (آية: ٨٢ - ٨٣)، ويقول سبحانه في سورة سبأ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (آية: ١٣).

ويوضح القرآن الكريم أن الله بصفة عامة، رءوف بعباده ولطيف بهم، حيث يقول سبحانه في سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ رُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آية: ٣٠)، ويقول سبحانه في سورة الشورى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ (آية: ١٩) وأنه سبحانه غفور رحيم، فيقول في سورة الحجر: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَورَ الرَّحِيمَ﴾ (آية: ٤٩)، وأنه سبحانه هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، فيقول

سبحانه في سورة الشورى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ (آية: ٢٥). ويقول سبحانه في سورة الزمر: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (آية: ٥٣).

وأخيرا يكشف القرآن الكريم أن العابدين عندما يحين رحيلهم فإنهم في عناية الله ورحمته، فيقول سبحانه في سورة فاطر: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ (آية: ٤٥). كما يقول سبحانه في سورة الفجر: ﴿ يَتَّيَنُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۗ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۗ (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبْدِي ۗ (٢٩) وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۗ (٣٠) ﴾ (آية: ٢٧ - ٣٠).

ولما كانت التقوى هي الغاية من العبادة فإن المتقين من عباد الله يدخلون جنات عدن، فيقول سبحانه في سورة مريم: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئًا ۗ (٦٠) جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ۗ (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ بَٰكِرَةٌ وَعَشِيرًا ۗ (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنَ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۗ (٦٣) ﴾ (آية: ٦٠ - ٦٣).
والله سبحانه وتعالى أعلم.

العدل

فى القرآن الكرىم؁ هو الحكم بمثل الجزاء لقوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (آية: ٩٥).

وقضية العدل فى القرآن الكرىم ترتبط بذات الله؁ فهو سبحانه (الحكم العدل).

والعدل أمر من الأوامر الإلهية؁ حيث يقول سبحانه فى سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (آية: ٩٠)؁ والعدل المراد هنا هو العدل المطلق؁ الشامل لكل حال من الأحوال؁ التى يتعرض لها الفرد فى المجتمع؁ حاكما أو محكوما؁ غنيا أو فقيرا؁ قويا أو ضعيفا؁ رجلا أو امرأة. وقد كان طبيعيا أن يكون العدل على رأس الأوامر التى وجهها الله عز وجل لرسوله الكرىم فيقول سبحانه فى سورة الشورى: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (آية: ١٥).

ولم يكتف القرآن بهذا؁ بل إنه تتبع أيضا دستور العدل؁ ليؤكد شموله لكل حال من أحوال الأفراد والجماعات.

فلقد تناول مشكلة التعامل المادى بين الناس؁ فشرع إقامتها على أساس العقود؁ وألا تترك سائبة؁ يسهل على الذم الخبرة إنكارها؁ ثم أمر كاتب العقد أن يكون عادلا فيقول سبحانه فى سورة البقرة:

﴿وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ﴾ (آية: ٢٨٢)، وأمر المملى لشروط العقد أن يلتزم كذلك العدل: ﴿فَلْيَمْلِكْ وَيُتَّعِدْ بِالْعَدْلِ﴾ (آية: ٢٨٢). ثم اشترط العدالة فيمن يشهد لإثبات الحق، وأن يجعل قول الحق نصب عينيه دون أن يراعى قرابة، أو يفرط من أجل منفعة فيقول عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (آية: ١٥٢). ويأتى دور القاضى الذى يجد بين يديه العقد المملى بالعدل، المكتوب بالعدل، الموثق بشهادة العدل، فيتوجه إليه القرآن بآية تدوى فى قلوب القضاة إلى يوم الدين فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (آية: ٥٨).

وليس القاضى هنا هو من يشغل وظيفة القضاء بين الناس فحسب، بل كل من حكم بين اثنين قاضى، حتى الزوج، الذى تضطره ظروفه أن يجمع بين زوجتين، يعد قاضيا، مطلوباً منه أن يحاول الاقتراب من العدل، وألا يحكم الهوى والميل إلى إحداها ليظلم الأخرى فيقول تعالى فى سورة النساء: ﴿وَلَنْ نَسْطِيعُوا أَنْ نَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَحْسِبُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ (آية: ١٢٩)، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (آية: ٣).

ولننظر إلى تلك الصورة التى قدمها لنا رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر،

والإمام العادل، ودعوة المظلوم»، فالدعاء سلاح رهيب، من أسلحة الحق سبحانه وتعالى، يجربه على لسان من يشاء من عباده، وقد وضعه فى يد كل من الحاكم والمحكوم، ومنح كلا منهما فرصة ثمينة ليكون مستجاب الدعاء، ماضى السلاح، فالحاكم العادل يدعو فيستجاب له، والمحكوم المظلوم يدعو على ظالمه فيستجاب له.

غير أن الرسول ﷺ لا يكتفى بأن يسلم كلا منهما سلاحه، وإنما هو يشجع المظلوم على استخدامه، ويكشف له عن سرعة مفعوله فيستطرد قائلاً: «ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: [وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين].»

ولعل فى هذا ما يفسر لنا قوله تعالى فى سورة النساء: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (آية: ١٤٨) (١٨٤).

ذلك كله ليرفع من شأن العدل، ويعلى من مكانة الإمام العادل، حتى يجعله النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أيضا فى أعلى مقام بين المؤمنين: «سبعة يظلهم الله فى ظله، يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل...».

وإذا كان العدل هو أساس الملك، فإن الظلم فى تاريخ البشرية هو المؤذن بالخراب، هذا ما تعلمناه من التاريخ، ولم يمر أكثر من ستين سنة ويتكرر درس التاريخ عندما لا تعى السلطة الحاكمة الدرس، فقد كانت مصر قبل سنة ١٩٥٢م لا يمثل الإقطاع فيها والطبقية أكثر من خمسة فى

المائة من سكان مصر ، بينما كان أكثر من تسعين فى المائة عند حد الفقر وربما أكثر من ذلك. وتمر السنوات سريعا ، وتصبح الثروة فى يد حفنة من رجال الأعمال وعلى رأسهم السلطة الحاكمة ، بينما الغالبية العظمى من الشعب لا يجد قوت يومه ، فيتهاوى كرسى الحكم ، ويتهاوى النظام.

العلم

كل ما حولك يذهب، وكل ما حصلت عليه فى حياتك عرضة للضياع، إلا العلم، فهو معك أينما كنت، وذهب معك إذا ذهبت. لذلك كان العلم هو المقياس الحقيقى لمكانة الفرد أو الأمة ومن هنا كانت أهمية العلم، ومن هنا أيضا ندرك السبب فى أن تكون (اقراً) هى أول كلمة تنزل من القرآن الكريم.

والعلم فى القرآن الكريم ليس فطريا فى الإنسان حيث يقول سبحانه فى سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (آية: ٧٨)، ولهذا يقول رسول الله ﷺ «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم».

وإذا كانت الأبحاث الحديثة تدعى تمكنها من تسجيل البيانات الأولية للذاكرة السمعية للأجنة فى بطون أمهاتهم باستخدام أدوات طبية متطورة تقيس المجال المغناطيسى والتغيرات التى تحدث لمخ الجنين وفقا لما يسمعه ويستطيع التعرف إليه من أصوات وكلمات، وإذا كانت الأبحاث الحديثة تدعى أيضا أن الأجنة لم تتعرف فقط إلى الاختلاف بين الأصوات التى تسمعها، بل بدأت هذه الأجنة فى استرجاع الكلمات التى سمعوها، وأنهم فى الأسابيع الأخيرة للحمل

والتي تسبق الولادة يستطيعون التفريق بين حروف العلة مثل الألف والواو والياء. فإن هذا كله ليس معناه أن الطفل قد بدأ تعلم اللغات فى بطن أمه، فنحن جميعا نسمع نباح الكلاب، ويمكننا استرجاع أصواتها والتفريق بينها، لكننا مع ذلك لا نعلم لغتهم لأن العلم فى القرآن الكريم لا يقف عند السمع فقط، أو البصر، ولا يقف عند الإحاطة السمعية أو البصرية، وإنما بالقدرة على تبيين ما تعنيه الأصوات التى نسمعها من معان. ولهذا يقول المولى عز وجل فى سورة البقرة ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ﴾ (آية: ٢٥٩).

وإذا كان السمع هو عمل الأذن، والبصر هو عمل العين، والفؤاد هو عمل القلب، فإن أدوات تحصيل العلم فى القرآن الكريم، هى السمع والبصر والفؤاد، فيقول تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (آية: ٣٦).

فقد أثبت العلم الحديث أن العلاقة بين المخ والقلب إنما هى علاقة ذات اتجاهين ذهابا وإيابا، وليس كما كنا نعتقد من أنها علاقة ذات اتجاه واحد من المخ إلى القلب فقط وليس العكس، وأدخل لأول مرة فى تاريخ الطب تعبير "مخ القلب Heart Brain" وأثبت أن للقلب بالفعل جهازا عصبيا خاصا به فى غاية التعقيد يتكون من خلايا وموصلات عصبية وبروتينات، تعمل بشكل مستقل عن الأعصاب المخية، ولها

مستقبلات خاصة بها، ويستطيع القلب من خلاله أن يتعلم ويتذكر ويشعر ويحس ويخاف ويؤمن ويطمئن، وتترجم هذه المعلومات على شكل إشارات عصبية ترسل من القلب إلى المخ (على عكس ما كنا نعتقد)، ويضيف القرآن الكريم وسيلة رابعة لتحصيل العلم، وهو السؤال حيث يقول سبحانه في سورة النحل: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾ (آية: ٤٣)، الأمر الذى يدعونا إلى أن نتيح للطلبة فى قاعات الدرس وقتنا لأسئلتهم.

وتكمن أهمية العلم فى أنه الأساس الذى يقوم عليه العقل، فيقول سبحانه فى سورة العنكبوت ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (آية: ٤٣). وترجع أهمية العقل فى القدرة على حل المشاكل التى يواجهها الفرد فى حياته، أو المجتمع، وإيجاد الحلول المناسبة لها، لهذا فهو الأساس الذى تقوم عليه قوة الفرد أو الأمة، وهذا ما نفهمه من قوله سبحانه وتعالى فى سورة القصص: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ (آية: ٧٨)، وقد تفسر نسبة الأمية فى مصر، بل وفى العالم العربى، والتى تزيد على الخمسين فى المائة، السبب فيما تعانىه مصر من الآم.

أما الأهم من ذلك كله فهو حاجتنا إلى الأدلة العقلية للتعرف إلى وحدانية الله لأن الاستدلال على وحدانية الله يحتاج إلى برهان عقلى،

ولهذا يأتي العقل على رأس الضرورات الخمس التي يلزم الإسلام الفرد والجماعة بحمايتها وهي : العقل والنفس والدين والعرض والمال.

والعلم هو أفضل ما يؤتى للعبد، لقوله تعالى في سورة النمل : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آية : ١٥).

والعلم أيضا هو أفضل من الملك ومن المال، لقوله سبحانه في سورة النمل : ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذَنًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥) ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (آية : ٣٤ - ٣٦).

لذلك كان طبيعيا أيضا أن يرفع الله تبارك وتعالى من مكانة العلماء، فيقول في سورة الزمر : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ (آية : ٩)، ويقول سبحانه في سورة المجادلة : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (آية : ١١)، وكفى العلماء شهادة المولى عز وجل أن اختصهم بخشيته حين قال في سورة فاطر : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (آية : ٢٨). وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل العلم والعلماء كما في الحديث الشريف «فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة»، كما جاء في الحديث : «العالم

يستغفر له كل شيء حتى الحوت فى الماء والطير فى الهواء»، وفى حديث آخر «ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر فى علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما»، ويقول النبى صلى الله عليه وسلم «لكل شيء عماد وعماد الإسلام العلم»، وقد كرم الرسول العلماء ورفعهم إلى أعلى منزلة عندما قال: «العلماء ورثة الأنبياء».

العيد

لم ترد كلمة العيد فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة فى قوله سبحانه فى سورة المائدة: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْنُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ ﴿آية: ١١٢ - ١١٥﴾، ومن النص الكريم نفهم، أن العيد هو الأكل فى جماعة، لذلك كان طبيعيا أن يكون يوم الفطر عيدا بعد صيام شهر رمضان، كما أن يوم الأضحية يكون عيدا حيث يأكل فيه الجميع من لحم الأضاحى، الأمر الذى يدخل البهجة والسرور على المسلمين، (فقد دخل أبو بكر رضى الله عنه على عائشة رضى الله عنها وعندها جاريتان فى أيام منى تغنيان وتضربان الدف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله عن رأسه وقال: دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا، وإن عيدنا هذا اليوم). وقد خص النبى صلى الله عليه وسلم النساء بمزيد عناية واهتمام فى هذا اليوم فأمر بخروجهن إلى صلاة العيد مهما كانت أحوالهن، فعن

أم عطية رضى الله عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرج - فى الفطر والأضحى - العواتق والحبيض وذوات الخدور، فأما الحبيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: لتلبسها أختها من جلبابها. وإذا كان مفهوم العيد فى القرآن الكريم، هو الأكل فى جماعة، فإن العيد ينطوى على تقوية الروابط الاجتماعية ونشر المودة والرحمة والتكافل الاجتماعى بين المسلمين، وتدعيم العلاقات بين الأهل والجيران، وتأتى زكاة الفطر مشتملة على كل هذه المعانى. فقد روى الدار قطنى أن رسول الله - ﷺ - قال: (أغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم).

وعن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه - رضى الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى ربِّ كريم، يمن بالخير، ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصتمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مُناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم، فارجعوا راشدين إلى رحاكم، فهو يوم الجائزة].

كما نفهم من قوله تعالى فى سورة الحج: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْأَبْيَاسَ الْفَقِيرَ﴾ (آية: ٢٨) أنه فى فرض توزيع لحوم الأضحية على البؤساء، وهم الذين لا يطعمون من فقرهم، ليلفت نظرنا إلى ضرورة أكل اللحم، ولو مرة واحدة فى السنة.

ونحن حينما نتتبع عيد الفطر فى القرآن الكريم، نجد أن الله عز وجل اهتم بمطلبين فيه، فلم يكن من باب الصدفة أن يتبع قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (آية: ١٨٥)، أى صيام عدة شهر رمضان، قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آية: ١٨٥)، وإنما هو الترتيب المحكم لآيات الله عز وجل، لذلك كان التكبير من رؤية الهلال حتى صلاة العيد، هو شكر الله تعالى على توفيقه لنا بصيام شهر رمضان.

كما أنه أيضا ليس من باب الصدفة أن يتبع قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ (آية: ١٨٥)، قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (آية: ١٨٦)، وذلك هو المطلب الثانى بأن نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء بعد صلاة العيد، كل بما يشاء، فإنه سبحانه قريبٌ مجيب.

الفواحش

في القرآن الكريم هي من أفعال الذنوب المحرمة وذلك لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آية: ١٣٥) ويقول سبحانه في سورة الأعراف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ ﴾ (آية: ٣٣). كما قرن القرآن الكريم بين كبائر الإثم والفواحش فيقول سبحانه في سورة الشورى: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ (آية: ٣٧) وقد حصر القرآن الكريم الفواحش في الأفعال الآتية:

أولاً: الزنى لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَجِئَةً ﴾ (آية: ٣٢).

ثانياً: نكاح ما نكح الآباء من النساء، لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَجِئَةً ﴾ (آية: ٢٢)، والنكاح هو تبادل الرغبة بين رجل وامرأة سواء كان ذلك بارتكاب جريمة الزنى أو بعقد الزواج، وإن لم يمس الرجل المرأة وذلك لقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ

﴿آية﴾: ٤٩) وهكذا حرم الإسلام الزواج من النساء اللاتي نكحهن الآباء، سواء كان ذلك بالزنى، أو بالعقد عليهن وإن لم يمسوهن.

ثالثا: الشذوذ الجنسي لقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ (آية: ٨٠ - ٨١)، وإذا كان النص القرآني قد كشف أن في مقدور الرجل توجيه الشهوة نحو نفس النوع، فإن هذا معناه أنها شهوة هو يملكها وليس العكس، وذلك بشيء من المقاومة بامتناعه عن فعل الذنب، وإذا كان القرآن الكريم لم يكشف عن الأسباب التي تؤدي إلى توجيه شهوة الرجل نحو الرجل، فإنه يفهم من هذا أن الأسباب قد تختلف من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى بيئة، بل ومن إنسان إلى إنسان.

رابعا: البصر الذي يأتي بشهوة، لأن الله سبحانه وتعالى جعل في الناس فتنة، حيث يقول عز وجل في سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ (آية: ٢٠). وإذا كنا نفهم من النص الكريم أن الصبر هو العلاج إذا ما وقعت الفتنة، وإذا كانت الوقاية من الفتنة هي الأولى، فقد حرص القرآن الكريم أن يغلق باب الفتنة بغض البصر وما يتبع البصر أيضا من شحن نفسى يتولد عنه الكبت، فيقول تعالى في سورة النمل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

أَتَاتُوكَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ (آية ٥٤)، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى، أمر المؤمنين بغض البصر، فيقول سبحانه في سورة النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (آية: ٣٠) كما يأمر سبحانه النساء أيضا بغض البصر في سورة النور، ويكشف في النص الكريم عن مواطن عورات النساء، والتي كانت سببا في ضرورة حجبها فيقول سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ هُنَّ وَلَا يَضْرِبْنَ بِمَخْرِمِهِنَّ عَلَى جُجُوِهِنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (آية: ٣١).

أما الشحن النفسى الذى يتولد عنه ما يعرف بالكبت، هو ما يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ (آية: ٣٣) وذلك بأن يعيش مع واحدة من هذه الفواحش نفسيا وإن امتنع عن ارتكاب فعل الفاحشة، ولهذا فإن القرآن الكريم جعل من العقل عدم الاقتراب من الفواحش، فيقول سبحانه فى سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْلُوبُوا النَّفْسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ (آية: ١٥١)، وذلك لأن الاقتراب من أى فاحشة قد يؤدى إلى عدم القدرة على مقاومة الشهوة فيقع الفعل المحرم.

وأخيرا، فإذا كان فى غض البصر، وعدم الاقتراب من أى فاحشة حتى ولو نفسيا فقط، وقاية من الفواحش، فإن القرآن الكريم يضع على رأس كل هذا إقامة الصلاة، فيقول سبحانه فى سورة العنكبوت: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (آية: ٤٥).

الفقير

ضد الغنى، لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آية: ١٨١).

الفقير

والفقير: هو من لا يستطيع ضرباً فى الأرض ويؤتى الصدقات، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿إِنْ بُدُوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمَ هِيَ وَإِنْ تَخَفُوهَا وَتَوْتُوهَا أَلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١) ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢) ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ الْعَفْفِ يَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٣) (آية: ٢٧١ - ٢٧٣).

ولقد ضرب القرآن الكريم بمثاليين للفقير، كان بطل المثال الأول، هو موسى عليه السلام بعد أن فقد عمله بهجرته من مصر، فيقول سبحانه فى سورة القصص: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي

سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٣﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ
الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا
أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٥﴾ فِجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَنِي
يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَفَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا
تَخَفْ نَبَوْتُ مِمَّنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبْأَبَتِ اسْتَعْجِرِي إِنَّكَ خَيْرٌ
مِّنَ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٧﴾ (آية: ٢٢ - ٢٦)، ومن تلك النصوص
الكريمة نتبين التوجيه الرباني، وهو يدعو الفقراء إلى أن يتوجهوا
أولاً إلى الله بالدعاء ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (سورة القصص
آية: ٢٤).

أما المثال الثاني، فأبطاله هم المهاجرون رضى الله تعالى عنهم،
وهم الذين فقدوا أعمالهم ومورد رزقهم في مكة وأخرجوا من ديارهم
وأموالهم، ليجدوا في المدينة قلوباً تفتحت لهم وأثروهم على أنفسهم،
فيزكى القرآن الكريم صنيعهم، فيقول تعالى في سورة الحشر: ﴿مَا
أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَصْرُوهَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ

هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (آية: ٧ - ٩) وبتبيين بوضوح أن للفقراء حقا في إعانة البطالة من مال الدولة في (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ).

وقد كشف القرآن الكريم أن الفقراء على رأس أصحاب الحق في الصدقات، فيقول عز وجل في سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (آية: ٦٠) ذلك على أن يتقدم الفقراء من أولى الأرحام على الجميع.

القدر

القدر هو بلوغ الأمر ، لقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (آية: ٣).

وليلة القدر هي الليلة التي أذن فيها الله سبحانه ملائكته والروح بالانزول إلى الأرض بأوامره (من كل أمره) تفضلا منه سبحانه على الملكوت الأرضي ، وقد كشف القرآن الكريم عن فضل هذه الليلة بما يأتي:
أولا: إن ليلة القدر هي الليلة التي أنزل فيها القرآن الكريم ، لقوله تعالى في سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (آية: ١) ،
وقوله في سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (آية: ١٨٥).

ثانيا: إن ليلة القدر هي ليلة مباركة ، لقوله تعالى في سورة الدخان:
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾
(آية: ٢ - ٦).

ثالثا: إن ليلة القدر هي ليلة خير من ألف شهر حيث إن ما ينزل في تلك الليلة من الرحمة يزيد على ما ينزل من أوامر الله في ألف شهر

كاملة وذلك لقوله تعالى في سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ (آية: ٣ - ٤).

ومن النص الكريم نفهم أن ليلة القدر أسبق في حدوثها من نزول القرآن الكريم، وإن كان نزول القرآن في هذه الليلة تتويجا لتلك الليلة المباركة.

رابعاً: يكشف القرآن الكريم أن ليلة القدر هي ليلة ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى

مَطَّلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ (سورة القدر آية: ٥) وهذا يعني أن هذه الليلة محمية

بقوانين الله الكونية من الأعاصير والبراكين أو أى شيء يدمر الأرض.

خامساً: إن عدم تحديد القرآن الكريم لهذه الليلة، وصمت رسول

الله عن تعيين هذه الليلة برغم أنه كان يعلم فى أى ليلة نزل عليه القرآن

الكريم، وأيضاً فى إشارته بأن نلتمسها فى العشر الأواخر من رمضان

دليل على أن هذه الليلة متحركة فى الليالى العشر الأخيرة وليست

ثابتة فى ليلة بعينها.

سادساً: إنها بعيدة عن الأوهام وقريبة من صحيح الدين فإن

المطلوب من الإنسان فى هذه الليلة هو الاجتهاد بالعبادة، والدعاء بما

طلبه الرسول - ﷺ - من السيدة عائشة حينما سألته بماذا تدعو إذا

ما صادفت ليلة القدر فقال لها عليه الصلاة والسلام قولى: (اللهم إنك

عفو تحب العفو فاعفو عنى).

القبلة

في القرآن الكريم هي ما يولى الوجه شطره، لقوله تعالى في **القبلة** سورة البقرة: ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ رَأُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (آية: ١٤٤).

ويذكر ابن إسحاق أن تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله - ﷺ - المدينة بينما روى البخارى عن البراء بن عازب ستة عشر أو سبعة عشر شهرا.

وإذا كان النص الكريم قد كشف لنا أن تحويل القبلة كان إرضاء لمحمد ﷺ ، فإنه أيضا كشف لنا أن السبب في توجيه المسلمين إلى بيت المقدس بعد الهجرة، كان اختبارا للمسلمين، حيث يقول سبحانه في سورة البقرة، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ (آية: ١٤٣).

ويبادر القرآن الكريم ويكشف عن السبب في هذا التحول من قبلة إلى أخرى، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا

وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ (آية: ١٤٢). حقا إن الأمانة كلها لله ملكا وتصرفا، وله سبحانه أن يخص بعضها بحكم دون بعض وما على المؤمنين إلا أن يمتثلوا لأمره، فإذا كان البيت الحرام أقدس من بيت المقدس فلماذا وجه الله سبحانه المسلمين إلى بيت المقدس؟ وإذا كان بيت المقدس أقدس من البيت الحرام؟ فلماذا عاد فوجه المسلمين إلى بيت الله الحرام، الأمر الذي جعل بعض اليهود يسألون عددا من المسلمين الذين مات لهم بعض أقاربهم وهم على القبلة الأولى وهي بيت المقدس، ما حكم صلاتهم التي كانوا يصلونها.

لذلك كان حادث تحويل القبلة من الأحداث المهمة التي سجلها القرآن الكريم، لأن الهدف الأسمى منها، والغاية الأعظم، والرمز فيها هو قدسية الأمر الإلهي، وليس قدسية المكان، إعلاء لأمر الله كلما توجه المسلم إلى القبلة في صلاته طاعة لأمر الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة البقرة آية: ١٤٢).

القلم

القلم في القرآن الكريم، هو ما يسطر به، لقوله تعالى في سورة القلم: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (آية: ١)، والظاهر من نص الآية الكريمة أنها تتناول الأدوات الثلاث التي يتم بها سطر الحروف والألفاظ. وهذه الأدوات الثلاث هي: حروف المعجم والتي اكتفت الآية بحرف واحد منها هو (ن)، ثم (القلم)، وأخيرا، كتابة ما يملأ، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (آية: ١). لكن الأمر ليس بهذه البساطة التي تبدو من ظاهر النص الكريم، وذلك أنها أول مرة يأتي فيها الوحي بحرف مستقل من حروف المعجم في مفتتح السورة، ودون أن ينص صراحة على أن (ن) هو حرف المعجم المعروف، مكتفيا بما هو ظاهر من رسمه وقراءته. والآية الكريمة بهذا النحو تدعونا إلى البحث الموضوعي في شأنها، وألا نركن إلى ما ظهر لنا من النص دون متابعة دقيقة لكل ألفاظ الآية.

(وَالْقَلَمِ) الواو تفيد أن (ن) و(القلم) شركاء في أمر تبع فيه (القلم) الحرف (ن). ونلاحظ أن النص القرآني كان حريصا أن يأتي بالقلم معرفا، وذلك كي ينسحب على كل أنواع الأقلام التي يعرفها الإنسان، والتي قد يتغير شكلها من عصر إلى عصر.

أما عن مادة صناعة القلم، فالقرآن الكريم يكشف أنه من مادة الأرض ومن شجرها حيث يقول سبحانه في صورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (آية: ٢٧)، وهذا يعنى أن المادة التى يصنع منها القلم قد تتباين من مكان إلى مكان، ومن عصر إلى عصر، وإن كان الشجر شريكا. وهنا لابد وأن يستشعر القارئ، أن ذلك لم يكن أبدا كلام البشر، لأنه كلام يعلو على الزمان والمكان، ويتسع لكل العصور.

ونلاحظ أن النص القرآنى كان حريصا أن يأتى بكلمة (يسطرون) ولم يأت بكلمة (تسطرون) وذلك أن كلمة (يسطرون) تنسحب على أى زمان ومكان بينما تنحسب كلمة (تسطرون) على من يخاطبهم النص فقط، وهكذا يتضح لنا الآتى:

أولاً: إن الآية تناولت من حيث الشكل الأدوات الثلاث التى يتم بها سطر الحروف والألفاظ كما هو ظاهر من النص.

ثانياً: إن الآية قد تناولت من حيث الشكل والموضوع أداتين من هذه الأدوات الثلاث هما: (القلم)، و(يسطرون).

ثالثاً: إنه لابد وأن يطابق الأداة الثالثة شكلها معناها فيكون (ن) هو حرف المعجم المعروف. وهذا يكفى لإثبات أن كل الحروف القرآنية التى وردت فى مفتتح السور بعد ذلك هى من حروف المعجم لأن منزل الكتاب سبحانه وتعالى واحد لا شريك له.

ولكن يبقى سؤال، وهو لماذا وقع الاختيار على حرف المعجم (ن) بالذات كى يكون أحد الأدوات الثلاث التى يتم بها سطر الحروف، ولماذا أيضا أتى النص القرآنى برسم الحرف (ن) ولم يأت باسمه كأن يقول (نون) أو (حرف نون) مثلما عبر النص لفظيا عن (القلم) و(يسطرون)، وهنا لا بد لنا من عودة لمراجعة معانى ألفاظ الآية الكريمة. فنقول ألم يثبت لدينا حرص النص القرآنى على العمومية فى (القلم)، وفى (يسطرون). إذن فإن المنطق يقول إن (ن) هو أيضا الحرف العمومى على حروف الأبجدية، وهذا معناه أن الإنسان الذى يتمكن من سطر الحرف (ن) يكون قد تمكن من سطر كل الحروف حيث يمثل (ن) عصب الأبجدية الذى انسحبت عليه كل الحروف.

والقرآن الكريم إذا كان قد كشف عن أهمية القلم فى السطر به من حيث التربية الفنية، فإنه فى نفس الوقت قد كشف عن أهمية القلم فى التربية العقلية، حيث يقول سبحانه وتعالى فى سورة العلق: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ (آية: ٣ - ٤) أى إن القلم عنصر أساسى فى العملية التعليمية. وأخيرا، يكشف القرآن الكريم عن جانب آخر فى غاية الأهمية للقلم، وذلك عند الخصومة لإثبات الحق، فيقول عز وجل فى سورة آل عمران: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آية: ٤٤)، ويؤكد سبحانه على هذا المعنى فى سورة البقرة، فيقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الذَّرِيرُ. أَمْ تَوَّأ إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْتَبُوهُ وَكَتَبْتُ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْمَدْلِ﴾ (آية: ٢٨٢).

الكعبة

الكعبة في القرآن الكريم، هي البيت الحرام، لقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ (آية: ٩٧)، والكعبة هي أول بيت وضع على وجه الأرض على الإطلاق، وهذا ما يفهم من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (سورة آل عمران آية: ٩٦)، كما يفهم من التعبير القرآني بصيغة المبنى للمجهول (وضع للناس) أمور: الأمر الأول: إنه وضع من قبل أن يأتي الناس وبذلك يكون النص القرآني قد نفى أن يكون أحد من الناس قد بناه ابتداء.

الأمر الثاني: إن النص القرآني عبر بكلمة (وضع)، ومعروف أن وضع الشيء لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل، كما أنه في حرص النص الكريم على أن يعبر بكلمة (وضع) وألا يعبر بكلمة بنى أو أنشأ أو أقيم، يفهم من ذلك أنه وضع على الأرض جاهزا، وأن بناءه لم يتم على الأرض.

الأمر الثالث: إن ثبوت الطبيعة النيزكية للحجر الأسود بعد تحليل قطعة منه في المعامل الأمريكية سنة ١٩٣٦م، يؤكد أن الكعبة نزلت جاهزة من السماء إلى الأرض، والكعبة هي أعظم أثر لا يزال قائما في مدينة مكة وهي بناء مكعب قائم في وسط البطحاء وهو مربع الشكل مكون من غرفة واحدة يرتفع سقفها عن سطح الأرض نحو خمسة عشر

مترا، وفي ضلعها الشرقي باب يوصل إلى جوف الكعبة وهو يرتفع عن سطح الأرض بمقدار مترين، وفي الركن الجنوبي الشرقي يوجد الحجر الأسود من الخارج، وهو يرتفع عن سطح الأرض بمقدار متر ونصف المتر. الأمر الرابع: إن نزول الكعبة جاهزة من السماء لا يمنع أن يعاد بناء الكعبة بأحجار من الأرض مرة ومرات بأيدي الناس كلما كانت هناك حاجة والقرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آية: ١٢٧). وهكذا يمكن أن نقرر مطمئنين أن الكعبة المشرفة هي أول بيت استقبل أول زوجين هبطا على الأرض (آدم وحواء) - عليهما السلام - وهي أيضا أول بيت عبد الإنسان فيه الله عز وجل. أما موضع الكعبة على الأرض، فالقرآن الكريم يحدد موقعها في بكة (مكة المكرمة)، أي في الموقع الذي بكت فيه الأرض بما في باطنها، ويشير القرآن الكريم في سورة النازعات إلى هذا فيقول عز وجل: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ (آية: ٣٠ - ٣٢) (والدحو) في الدلالة القرآنية، هو خروج الماء والمرعى، وهذا ما نفهمه أيضا من حديث الرسول - ﷺ - أن مكة المكرمة هي التي خرجت منها القشرة الأرضية، حيث قال: (دحيت الأرض من مكة فمدها الله - تعالى - من تحتها فسميت أم القرى). ويتفق ما توصل إليه علماء الغرب في العصر

الحديث مع ما جاء به الإسلام، وهو أن القشرة الأرضية تكونت نتيجة انفجار بركاني خرجت منه القشرة الأرضية، وأن الجزيرة البركانية التي تكونت منها اليابسة التي أطلق عليها علماء الغرب اسم (بانجيا) أو القارة الأم، والتي تصدعت بعد ذلك لتصبح مجموعة القارات السبع. كما نفهم من القرآن الكريم أن مكة المكرمة في وسط اليابسة. وأن الكعبة هي مركز اليابسة، حيث يقول سبحانه في سورة الشورى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (آية: ٧).

ذلك هو ما أثبتته العلم الحديث، كما ثبت علميا أيضا أن أركان الكعبة المشرفة في الاتجاهات الأربعة الأصلية تماما. ومعنى هذا أن ماء زمزم الذي أسفل الكعبة بحوالى ٣٠ مترا، هو أصل ماء الأرض كلها، الذى أشار إليه النص الكريم فى قوله سبحانه فى سورة النازعات: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (آية: ٣١)، وأن الكعبة على فوهة البركان الذى خرجت منه القشرة الأرضية، بدليل استمرار خروج ماء زمزم من تحته والذى قد يكون من توابع ذلك البركان العظيم.

وإذا كانت الكعبة المشرفة فى الموضع الذى ولدت فيه القشرة الأرضية، وأنه البيت الذى خرجت منه كل الأسرة البشرية، فحق لهذا البيت أن يكون قبلة المؤمنين كما فى سورة البقرة: ﴿فَلَوْلَيْسَكَ قِبْلَةٌ تَرْضَاهَا قَوْلٍ وَجَهْلَكَ سَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ لُوَّأُ وُجُوهَكُمْ سَطْرُهُ﴾ (آية: ١٤٤)، وحق لهذا البيت أيضا أن يكون مثابة للناس حين استقباله عند كل صلاة، أو القدوم إليه حاجا.

والكعبة هي قبلة المسلمين، والقبلة في القرآن الكريم هي ما يولى الوجهه شطره، وحيث ما يكون الإنسان، وهو المسجد الحرام لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلِئِكَ قِبَلَةٌ رَضَّهَا قَوْلٌ وَجْهِكَ سَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ رُؤُوسُكُمْ سَطْرَةٌ ﴾ (آية: ١٤٤).

وإذا كان النص القرآني قد كشف أن تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام كان إرضاء لمحمد - ﷺ - فإن النص القرآني أيضا يكشف لنا أن توجيه المسلمين إلى بيت المقدس قبل ذلك كان لاختبار المسلمين حيث يقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ (آية: ١٤٣).

وإذا كان المسجد الحرام له بركته وكرامته فإن تحويل القبلة لم يكن لقدسية المكان، لأنه إذا كان البيت الحرام أقدس من بيت المقدس، فلماذا وجه الله سبحانه المسلمين إلى بيت المقدس؟! وإذا كان بيت المقدس أقدس من بيت الله الحرام فلماذا عاد فوجه المسلمين إلى بيت الله الحرام؟! وعموما فذن لا نسجد للكعبة، وإنما نسجد للتوجه الإلهي، لأنه ليس من المعقول أن نسجد لحجر نحن الذين أعدنا بناءه بأيدينا عدة مرات.

لذلك فإن الهدف الأسمى، والغاية الأعظم، والرمز في تحويل القبلة هو قدسية الأمر الإلهي، وإعلاء أمر الله كلما توجه المسلمون إلى القبلة في صلاتهم طاعة لله عز وجل: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة البقرة آية: ١٤٢).

الموت

الموت في القرآن الكريم نقيض الحياة، لقوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ (آية: ٤٣ - ٤٤).

والموت في القرآن الكريم، هو بداية ونهاية كل إنسان، ولكن إذا كنا جميعا نعلم يقينا أنه نهاية كل حي، فكيف كان هو البداية؟!

يقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (آية: ٢٨)، ثم يعود القرآن الكريم ويؤكد سبحانه أن الموت سابق على الحياة في سورة الملك حيث يقول عز وجل: ﴿بَنَزَكَ اللَّيْلُ بِيَدِهِ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (آية: ١ - ٢).

وإذا كان علماء التفسير لم يستطيعوا أن يفسروا لنا لغز تقدم الموت على الحياة، بل ويكتفى البعض بالإشارة إلى مرحلة التراب لذلك فإننا سنحاول، مضطرين أن نتعرض لحقيقة الموت والأدلة التي تؤكد حدوثه حتى نجد تفسيراً مقنعاً لقضية تقدم الموت على الحياة التي أكدتها النصوص القرآنية.

وأول الأدلة التي يطرحها القرآن الكريم، والتي نتعرف إلى الموت، هي القضاء على النفس بإمساكها لقوله تعالى في سورة الزمر:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ أَلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ ﴾ (آية: ٤٢)، والقرآن الكريم لم يربط بين الموت والمرض، أو فشل أى جزء من جسم الإنسان، وإنما ربط بين الموت، وملك الموت فيقول سبحانه في سورة السجدة: ﴿ قُلْ بَنُو فَنَّاكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (آية: ١١)، ويساعد ملك الموت كوكبة من الملائكة يقومون بنزع النفوس نزعا من الظالمين حيث يقول عز وجل في سورة الأنعام: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ (آية: ٩٣)، أما الطيبون تتولاها ملائكة الرحمة وتبشرهم برضوان من الله ومغفرة وسلام منه ورحمة، فيقول تعالى في سورة النحل ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (آية: ٣٢)، وقال تعالى في سورة الفجر: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (آية: ٢٧ - ٣٠).

والإنسان حال الموت، يغمشى عليه فيقول سبحانه في سورة الأحزاب:

﴿ كَالَّذِي يُعْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (آية: ١٩)، كما يشعر الإنسان بسكرة، لقوله تعالى في سورة ق: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ (آية: ١٩)، وفي

قوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آية: ١٨٥) دليل على شعور الإنسان حال موته بانفصال النفس عن أعضائه عضوا عضوا.

وإذا كان توقف النفس توقفا حقيقيا، هو الذى يتوقف عليه حكم القرآن بموت إنسان فإن القرآن الكريم تعرض لثلاثة أدلة أخرى هامة تتبع توقف النفس توقفا حقيقيا، وليس موت أى جزء حتى ولو كان موت جذع المخ، وهذه الأدلة هى:

أولا: عدم الحركة بحيث لا ترى له اهتزازا (إراديا أو لا إراديا) حيث يفقد الميت الاستجابة لكل محاولات رد الفعل وهو ما عبر عنه القرآن الكريم (بالخشوع) حيث يقول سبحانه فى سورة فصلت: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ (آية: ٣٩).

ثانيا: نبهت الآية الكريمة السابقة، إلى أن النمو من توابع الحركة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (سورة فصلت آية: ٣٩)، وطبيعى أن يكون توقف النمو (مثل نمو الشعر والأظافر) من توابع الموت وأدلته. ثالثا: ضرورة تحلل الجسم إلى تراب وعظام حيث يقول سبحانه وتعالى فى سورة المؤمنون: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ (آية: ٣٥). وطبيعى أن تبدأ مرحلة الموت بتخشب الجسم بعد ساعات من الوفاة، والانتفاخ كمظهر لبداية التعفن والتحلل ليصير ترابا وعظاما،

وطبيعى أنه بوضع الميت على الجهاز الذى يوضع عليه مريض موت جذع المخ لا يمكننا أن نجنبه توابع الموت التى أشرنا إليها من عدم الحركة وعدم النمو وعدم التعفن والتحلل.

وأخيراً، إنه يمكن من الأدلة السابقة - التى يمكن أن نستدل بها على الموت، أن تنطبق على الجنين فى بطن أمه حيث لا يتعدى الجنين فى بطن أمه أن يكون شأنه شأن أى خلايا حية فى بطن الأم، وليس إنساناً حياً، لأنه يفتقد لعملية التنفس، والتى لا تبدأ إلا بالولادة.

أما حالة التراب التى قال بها المفسرون، فإنها قد تكون خاصة بآدم عليه السلام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

النار

فى القرآن الكرىم شجرة ذات لهب؁ لقوله تعالى فى سورة **النار** الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (آية: ٧١ - ٧٢)؁ وقوله سبحانه فى سورة المسد: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ (آية: ٣)؁ وهى شديدة الحرارة لقوله عز وجل فى سورة التوبة: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴿٨١﴾﴾ وهى لذلك تحرق؁ لقوله تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالَهُتَكُمُ مِنْكُمْ فَنَلْعَبِمْ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ (آية: ٦٨ - ٦٩)؁ وهى أيضا تضىء المكان الذى توجد فيه؁ حيث يقول سبحانه فى سورة النور: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴿٣٥﴾﴾ (آية: ٣٥).

وبرغم دقة التعريف القرآنى للنار؁ فإننا نلاحظ تعارضا ظاهريا بين نصوصه؛ ففى الوقت الذى يقرر فيه النص الكرىم أن النار شديدة الحرارة وحارقة؁ نجده يقرر؁ أن النار كانت بردا وسلاما على إبراهيم عليه السلام؁ فكيف يكون ذلك!؟

ويرى المفسرون أن الله نزع عنها الحرارة والإحراق؁ وذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا نَبَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا ﴿٦٩﴾﴾ (سورة الأنبياء آية: ٦٩)؁ لأن الله

سبحانه وتعالى إذا أراد لشيء أن يكون فإنما يقول له ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة يس آية: ٨٢)، ولكن ليس بهذا التفسير يغلق ملف ما يبدو وكأنه تعارض نصوص القرآن الكريم، فالقضية أكبر من هذه البساطة التي يعالجون بها الأمر. فنحن نعلم أن الكون إما أنه كل متجانس، والطبيعة يحكمها قانون كلي. وإما أن الكون عوالم مستقلة لكل عالم منها قانونه الخاص، فإذا كانت الخوارق أو المعجزات دليلا على عدم وحدة الكون، وعدم وحدة الطبيعة، فإن هذه الخوارق تكون شاهدا على تعدد الآلهة، أو شاهدا على مبدأ التطور، أما إذا كانت الخوارق ما هي إلا أدوات للوصول إلى قانون أوسع وأعم، لأن الاتساق المطرد في الطبيعة شرط جوهرى لنمو العلم، لأن العلم لا يسمح بوجود معلول بغير علة، وأن وحدة الكون تتضمن افتراضا ما سبق ملاحظته، وما لم يلاحظ حتى الآن، فيكون هذا هو الدليل العلمى على الإله الواحد.

ونحن أمام تحول النار إلى برد وسلام على إبراهيم نجدها تخضع للاتساق المطرد دائما في الطبيعة، ونمو العلم، لأننا نعلم أن جزيء الماء يتكون من عنصرى الأكسيجين والهيدروجين، وأن واحدا منهما يشتعل والثانى يساعد على الاشتعال، أى إن النار وجهها الآخر ماء، وأن تحول الماء إلى نار أو العكس هو أمر قائم وخاضع تماما للقانون الكلى، وأنه من الأدلة القاطعة على وحدة الطبيعة، ووحدانية الله عز وجل.

ولقد كان مدهشا حقا أن أجد فى تفسير ابن كثير حديثا ورد عن سعيد ابن جبير ويروى عن ابن عباس، أنه لما ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار

جعل خازن المطر يقول متى أؤمر بالمطر فأرسله، وفي هذا الحديث إشارة واضحة أن المسلمين الأوائل كانوا يعلمون أن النار تحولت إلى ماء. لذلك فإنه لا يوجد تعارض بين نصوص القرآن الكريم التي تؤكد على أن النار شديدة الحرارة وحارقة، وكونها بردا وسلاما على إبراهيم، وأن النصوص في الحالتين وجهين لعملة واحدة، هي وحدة الطبيعة التي يحكمها قانون كلي.

النفس

النفس في القرآن الكريم، هي مخلوق من الماء، لقوله تعالى: في سورة الكهف: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (آية: ٥١) وقوله سبحانه في سورة الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (آية: ٣٠).

والقرآن الكريم حينما ينص على أن النفس مخلوقة، يعنى بأن لها هيئة لقوله عزل وجل في سورة آل عمران: ﴿ أَنَّى خَلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (آية: ٤٩).

ولم يتعارض الحديث الشريف مع ما ذكرناه بأن النفس مخلوقة من الماء، فقد قال رسول الله - ﷺ - في حق نفس المؤمن: (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيه السقاة، أما نفس الكافر تتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول) رواه أحمد وصححه شعيب.

ونفهم من سورة الواقعة أن البصر يتبع النفس حينما تصل النفس إلى الحلقوم لقوله سبحانه: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ (آية: ٨٣ - ٨٤). وهو ما لم يتعارض معه الحديث الشريف، وهو أن للنفس هيئة، فقد سئل رسول الله عن السبب في شخص البصر عند الموت، فقد قال ﷺ - : (حين يتبع بصره نفسه) رواه مسلم في صحيحه.

كما لم يتعارض العلم الحديث مع مادية النفس، فقد اكتشف العلماء أن وزن الإنسان ينقص بعد لحظة الوفاة مباشرة، وهذا يعنى أنه بخروج النفس فقد الجسد شيئاً مادياً، ولو كان مجرد عنصر غازى. وإذا كانت النفس فى الأصل من الماء، والجسد فى الأصل من التراب، فإن النفخ فيهما من الروح بعد تسويتهما معاً، هو الأمر الإلهى الذى جعل من النفس والجسد إنساناً يتنفس ويتحرك ويجرى الدم فى عروقه، وهذا ما نفهمه من قوله سبحانه فى سورة الإسراء:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (آية: ٨٥)، كما يقول عز وجل فى سورة الحجر: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴾ (آية: ٢٩).

ونفهم من القرآن الكريم أن النفس زوجان منها الذكر ومنها الأنثى، لقوله تعالى فى سورة النحل: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (آية: ٧٢) وقوله سبحانه فى سورة النجم: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ (آية: ٤٥)، وفى هذا ما يؤكد خصوصية نفوس كل من الرجال والنساء.

والنفس فى القرآن الكريم محرم قتلها إلا بالحق، لقوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (آية: ١٥١). وللنفس قدرات منها ما كسبته فى الخلقة، ومنها ما تكتسبه من التجربة، لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ لَا يُكْفِئُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ﴾

تبدى وتخفى لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْتَحْفُوْهُ﴾ (آية: ٢٨٤).

والنفس يقضى عليها بالموت لقوله تعالى فى سورة الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فِيمِمْسِكِ الْتَى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى﴾ (آية: ٤٢).

وللنفس فى القرآن الكريم صفات أساسية، وصفات مكتسبة. أما الصفات الأساسية فهى، أن النفس تشتهى، لقوله سبحانه فى سورة الزخرف: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِيَ الْأَنْفُسُ﴾ (آية: ٧١)، وأنها تهوى، فيقول تعالى فى سورة النجم: ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ (آية: ٢٣)، وأن للنفس حاجات، لقوله عز وجل فى سورة يوسف: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسٍ يَعْقُوْبُ قَضَاهَا﴾ (آية: ٦٨)، وترغب، فيقول سبحانه فى سورة التوبة: ﴿وَلَا يَرْغَبُوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ (آية: ١٢٠)، والنفس تخاف، لقوله سبحانه فى سورة طه: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ (آية: ٦٧).

أما صفات النفس المكتسبة، فمنها ما هو من الإحسان، ومنها ما هو من الظلم، حيث يقول سبحانه فى سورة الصافات: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ (آية: ١١٣)، وكما أن النفس قادرة على أن تكون فى جانب الإحسان أو فى جانب الظلم، فإن الله سبحانه وتعالى من رحمته

بالناس، جعل النفس قادرة على أن تصلح من شأنها، فيقول سبحانه في سورة الرعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (آية: ١١)، ويأتي الهدى على رأس الصفات الحسنة، لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّ يَهْدَىٰ لِنَفْسِهِ﴾ (آية: ١٥)، والتثبيت، لقوله عز وجل في سورة البقرة: ﴿وَتَثْبِيثًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (آية: ٢٦٥)، والإيثار لقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آية: ٩).

ويأتي الكبر والعتو، والعلو على رأس صفات الظلم المكتسبة، فيقول تعالى في سورة الفرقان: ﴿لَقَدْ أَسْكَبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا﴾ (آية: ٢١)، وقوله سبحانه في سورة النمل: ﴿وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (آية: ١٤)، والضلال صفة من صفات النفس الظالمة لقوله سبحانه في سورة آل عمران: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ (آية: ٦٩)، والعدوان، لقوله عز وجل في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَسْكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتُعَذِّبُوا وَمَنْ يُفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (آية: ٢٣١)، والإسراف، لقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ (آية: ٥٣)، والبخل، لقوله سبحانه في سورة محمد: ﴿فَاتِمَّا يَخُلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ (آية: ٣٨)، والبغى، لقوله عز وجل في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آية: ٢٣)، والشح، لقوله تعالى في سورة التغابن: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ (آية: ١٦)، والكذب، لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾

(آية: ٢٤)، والخداع، لقوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ (آية: ٩)، والمكر، لقوله عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (آية: ١٢٣)، والحسد، لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (آية: ١٠٩)، ثم يأتي في نهاية صفات الظلم المكتسبة، الوسوسة، لقوله سبحانه في سورة ق: ﴿وَنَعَلِمَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (آية: ١٦)، أما المنافقون فإن ما جعلهم أسوأ الناس، هو أن الأهم عندهم، هو أنفسهم. الأمر الذي أدى بهم أن يظنوا بالله غير الحق ويخفون ما لا يبديون، فيقول عز وجل في سورة آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ وَقُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ (آية: ١٥٤).

وجاء وصف القرآن الكريم للنفوس تبعا لما اكتسبته نفس كل إنسان إلى ثلاث مجموعات، الأولى منها، وهي التي اكتسبت أحسن الصفات، وهي النفس المطمئنة، حيث يقول تعالى في سورة الفجر: ﴿يَتَّيَنَّا أَلْنَفْسُ الْمَطْمِئِنَةُ﴾ (٢٧) ﴿رَجِئِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿آية: ٢٧ - ٢٨﴾. أما المجموعة الثانية من النفوس فهي النفس اللوامة، فيقول سبحانه في سورة القيامة: ﴿وَلَا تُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ (٢) ﴿آية: ٢﴾، وتأتي المجموعة الأخيرة لتضم كل الظالمين تحت شعار النفس الأمارة بالسوء

فى قوله عز وجل فى سورة يوسف: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ (آية: ٥٣).

وأخيراً، إذا كان بالموت تفصل النفس عن الجسد، لقوله تعالى فى
سورة الأنعام: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوٓا
أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ (آية: ٩٣)، وإذا كنا نعلم مصير الجسد
بعد الموت، حيث يعود إلى التراب، فإن ما نفهمه من القرآن الكريم
أن النفس ليس مصيرها إلى الردى كالجسد، وإنما لها نشأة أخرى
بعد خروجها من الجسد وهذا ما ينص عليه القرآن الكريم فى سورة
الواقعة، حيث يقول سبحانه: ﴿ عَلَّمَكَ أَنَّ نُبْدَلَ أَمْثَلِكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِى مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (آية: ٦١ - ٦٢).

الوطن

الوطن فى القرآن الكريم، هو أرض النُّصرة، والتى تغنى المواطن مما هو فى حاجة إليه من الأشياء، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (آية: ٢٥). وإذا كان النص الكريم قد سما بالوطن أن يكون للمسلمين وحدهم، فإنه سبحانه عاد ليؤكد هذا المعنى فى سورة هود: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (آية: ١١٨) ولكن ليس معنى هذا أن الإسلام يوافق على العلمانية، وألا تخضع الدولة لدين الإسلام، وإنما هذا الأمر مرهون بما يدين به غالبية سكان الوطن.

ويوضح القرآن الكريم أن المواطنة فى الدولة الإسلامية تقوم على أساس المساواة دون النظر إلى الانتماء الدينى أو العرقى أو أى اعتبارات أخرى، وذلك أن الناس جميعا نرية رجل واحد هو آدم فيقول عز وجل فى سورة النساء: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (آية: ١) كما يكشف القرآن الكريم أن الدين الإسلامى، ما هو إلا الحلقة الأخيرة فى سلسلة طويلة من

مسيرة الدعوة إلى الله، فيقول تعالى: ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ﴾ (سورة العنكبوت آية: ٤٦). ومادام المسلمون حلقة أخيرة في مسيرة الدعوة إلى الله، فإن حُسن المعاملة، هو الأساس الذى يجب أن يقوم عليه التعامل بين المسلمين وغير المسلمين، فيقول سبحانه فى سورة البقرة: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (آية: ٨٣). وجاءت السنة لتكون تطبيقاً عملياً للأسس التى تضمنها القرآن الكريم. لذلك كان من أهم آثار الهجرة ذلك الدستور الذى حرص رسول الله - ﷺ - على أن يضعه ليكون نظاماً للحياة العامة فى المدينة، ويكون الأساس المتفق عليه للمجتمع الجديد الذى كان يضم المسلمين واليهود والعرب المشركين وأول دستور مكتوب فى التاريخ البشرى يعترف بحقوق المواطنة، وقد تضمن هذا الدستور مبدأ حق المواطنة، وقبول المجتمع الإسلامى للتعددية الدينية، حيث نص كتاب الرسول الكريم: (.. وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم).

كما حرص هذا الدستور على أن يؤكد أن المجتمع الإسلامى يقبل أيضاً التعددية العرقية، وأن جميع المواطنين متساوون فى كل الحقوق. فينص كتاب رسول الله، على أن (ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى ساعده مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف).

وبعد هذا كله حرص دستور المدينة على أن يؤكد وحدة كل سكان المدينة الوطنية، فينص: (وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على ما حارب أهل هذه الصحيفة) ثم ينتقل هذا الدستور إلى مبدأ في غاية الأهمية، وهو حسن المعاملة، حيث ينص الدستور: (وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم).

اليتيم

اليتيم في القرآن الكريم هو فقد الأب، ولم تنص الآيات الكريمة صراحة أن اليتيم، هو موت الأب وهذا ما نفهمه من قوله سبحانه في سورة النساء ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨﴾ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ تَوَكَّرُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩﴾ (آية: ٨ - ٩)، كما نفهم من القرآن الكريم أن اليتيم مستمر إلى البلوغ لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ (آية: ٦) وقد كشفت الدراسات الحديثة أن أربعة أطفال من كل خمسة يعيشون في مؤسسات رعاية الأيتام حول العالم لديهم أب أو أم على قيد الحياة.

ويوضح القرآن الكريم أن في اليتيم فقد للإيواء، فيقول سبحانه في سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٦﴾ (آية: ٦). ولما كان الإيواء، هو ما يعصم، لقوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (آية: ٤٣)، فإن اليتيم مفتقد لمن يعصمه، على أنه يجب أن نفهم أن الإيواء بمفهومه الواسع يشتمل على جميع الجوانب الحسية والمعنوية، لهذا فإن اليتيم يفقده أبيه عرضة للانحراف، لكنه في نفس الوقت هو قابل للإصلاح

ونفهم ذلك من حرص النص الكريم على مخالطتهم والعمل على إصلاحهم فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (آية: ٢٢٠)، وطبيعى أن يكون اليتيم عرضة للقهر، فقد حرص القرآن الكريم أن ينبه إلى ضرورة عدم قهر اليتيم، فيقول سبحانه في سورة الضحى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝١﴾ (آية: ٩).

وإذا كان اليتيم بفقده أبيه فى حاجة إلى عطف الناس، فإنه كان قبل الجميع فى حاجة إلى صلاح أبيه، حيث كشف القرآن الكريم أن صلاح الآباء يجنيه الأبناء فيقول سبحانه فى سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (آية: ٨٢). ونفهم من النص الكريم أن الذى حفظ المال هو صلاح الأب. ويربط القرآن الكريم بين عبادة الله، وبين الإحسان إلى اليتامى، فيقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ (آية: ٣٦) بل ونجد أكثر من هذا أن القرآن الكريم ينص صراحة على أن الذى يدع اليتيم، هو مكذب بالدين، فيقول سبحانه فى سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝٢﴾ (آية: ١ - ٢).

وإذا كان القرآن الكريم قد جعل على رأس البر الإيمان بالله، فإنه جعل من البر أن تأتى المال على حبه لليتامى، فيقول سبحانه فى سورة

البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ (آية: ١٧٧)، وجعل القرآن الكريم الإنفاق على اليتامى في الترتيب بعد الإنفاق على الوالدين والأقربين، فيقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ﴾ (آية: ٢١٥).

كما دعانا القرآن الكريم إلى الحرص على إطعام اليتيم، فيقول سبحانه في سورة الإنسان ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (آية: ٨)، بل والحرص على تكريم اليتيم، فيقول سبحانه في سورة الفجر: ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (آية: ١٧).

وبرغم أن القرآن الكريم يعنى بلفظ (اليتيم) الفتى والفتاة، فإنه خص يتامى النساء بأية كريمة في سورة النساء تناول فيها زواج اليتيمة، فيقول سبحانه: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ (آية: ١٢٧).

وقد اهتم القرآن الكريم بمال اليتيم اهتماما خاصا، وأنه يجب أن يحرص الناس على حفظ أموال اليتامى، فيقول سبحانه في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (آية: ١٥٢)، كما

اهتم بالتشريعات التي تتعلق بمال اليتيم فيقول سبحانه في سورة النساء: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ٢﴾ (آية: ٢). وإذا ما بلغ اليتيم رشده يجب على الوصي عليه أن يؤدي إليه ماله فيقول سبحانه في سورة النساء: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ٦﴾ (آية: ٦). ويحذر القرآن الكريم الذين يأكلون مال اليتامى، فيقول سبحانه في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠﴾ (آية: ١٠).

كما يشكف القرآن الكريم أن لليتيم حقوقا في دخل الدولة الإسلامية، فيقول سبحانه في سورة الأنفال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (آية: ٤١)، ويقول سبحانه في سورة الحشر: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ (آية: ٧)، ونلاحظ أن النص القرآني في الآيتين السابقتين قد حرص على ألا يفرق بين يتامى المسلمين وغيرهم من المواطنين الأمر الذي يجعل للقرآن الكريم السبق في قوانين حقوق الإنسان، أو حقوق المواطنة.

وأخيرا يمكننا أن نختم حديثنا عن اليتيم فى القرآن الكريم بذلك النص الكريم الذى يدعو الجميع بالقسط لليتامى، حيث يقول سبحانه فى سورة النساء: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (آية: ١٢٧).

الفهرس

٧ المقدمة
٩ القرآن الكريم
١٩ آدم عليه السلام
٣٣ إبليس
٣٨ الإسراء
٤١ الإسلام
٥٠ الوالدان
٥٣ بدر
٥٧ البصر
٦٢ الجار
٦٤ الجهل
٦٨ الحب
٧٤ الحج
٧٨ الحسد
٨٢ الخمر
٨٥ الأخوة
٨٧ أرزل العمر (الزهايمر)
٨٩ الشقاء

٠٩٢	الشيطان
١٠٠	الصالح
١٠٤	الصوم
١٠٩	الضحك
١١٢	العبادة
١٢٠	العدل
١٢٤	العلم
١٢٩	العيد
١٣٢	الفواحش
١٣٦	الفقير
١٣٩	القدر
١٤١	القبلة
١٤٣	القلم
١٤٦	الكعبة
١٥٠	الموت
١٥٤	النار
١٥٧	النفس
١٦٤	الوطن
١٦٧	اليتم